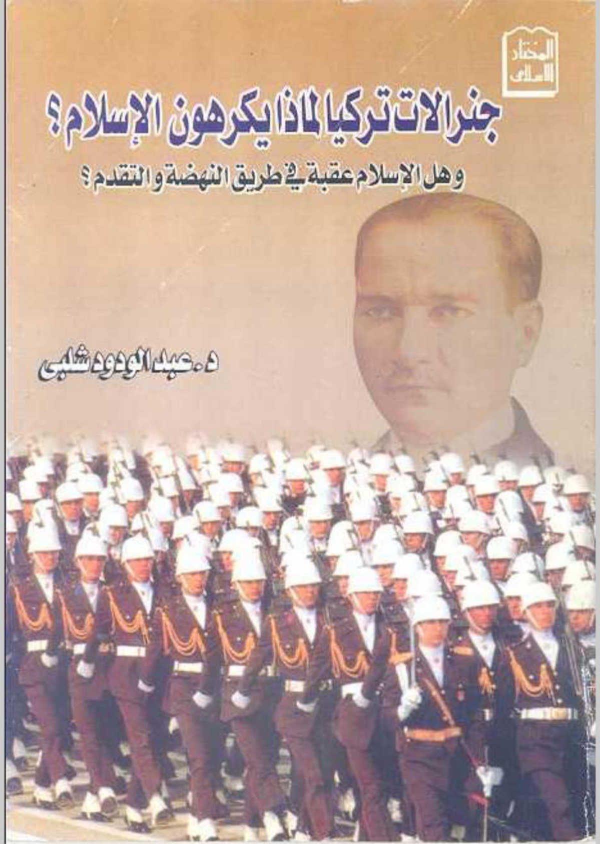

المختار الإسلامي
جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام؟
وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة و التقدم؟
د. عبد الودود شلبي

د . عبد الودود شلبى

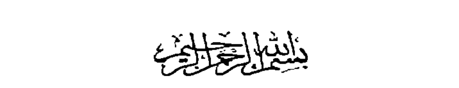
جنرالات تركيا

لماذا يكرهون الإسلام ؟

وهل الإسلام عقبة فى طريق النهضة والتقدم ؟



ص . ب ١٧٠٧ القاهرة
الرمز البريدى ١١٥١١


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين ﴾ ... سورة التوبة

رجل .. وموقف !

فى ساحة المحكمة .. ومنظر جثث خمسة عشر مشنوقاً تشاهد من وراء قضبان النافذة .. وجه رئيس المحكمة - إلى الإمام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى - هذا السؤال :

أنت متهم بالدعوة إلى تطبيق الشريعة . إن من يطالب بها مصيره الشنق كما ترى فى جثث هؤلاء المشنوقين الخمسة عشر !!!

وهنا يصرخ - بديع الزمان - فى وجه القاضى قائلاً :

لو أن لى ألف روح ماترددت أن أضحى بها كلها فداء لحقيقة واحدة من حقائق الإسلام !

إننى أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذى تسمونه السجن فى انتظار القطار الذى يحملنى إلى الآخرة .. إننى مستعد لمرافقة هؤلاء الذين علقوا على المشانق !

لقد كانت الحكومة تخاصم العقل أيام الاستبداد .. والآن فإن هذه الحكومة تعادى الحياة ... !!!

ألا ... فليعش الجنون .... وليعش الموت ....

وللظالمين .. فلتعش جهنم .. !!

بديع الزمان سعيد النورسى

مقدمة تاريخية

صبيحة اليوم الذى أكتب فيه هذا البحث كنت استمع إلى النشرة الصباحية من هيئة الإذاعة البريطانية الـ B.B.C

وقد جاء فى هذه النشرة : أن دول الاتحاد الأوروبى رفضت انضمام تركيا إلى هذا الاتحاد .. أما لماذا ؟ فلأن تركيا دولة مسلمة ، ولا يجوز أن تنضم دولة مسلمة إلى اتحاد يضم دولا مسيحية ... !!!

فى الوقت نفسه ... وفى النشرة نفسها قالت الإذاعة :

إن الجيش فى تركيا ضغط على رئيس الوزراء لإلغاء المدارس القرآنية .. !! ومنع الدخول بالزى الإسلامى إلى الدوائر الحكومية ..!! وفرض حظرا شاملا على أى نشاط إسلامى فى تركيا .. !!!

* * *

مامعنى هذا كله ..؟

معناه أن الإسلام يُحاصر من الداخل ومن الخارج ؟

ومعناه أن المسلمين لم يعد لهم شأن ولا قيمة فى نظر العالم !
ومعناه أن (بعض) حكامنا المسلمين يقفون مع أعداء المسلمين فى مربع واحد ..!!

قبل عامين سافرت إلى (اسلامبول) التى تُعرف حاليا باسم (استانبول) لحضور الندوة العالمية عن الإمام المجاهد (بديع الزمان سعيد النورسى) .

وفى حفل غداء دُعينا إليه من رئيس بلدية المدينة سمعنا عجبا .. أن رئيس البلدية الذى دعانا إلى حفل الغداء كان عضوا فى حزب (الرفاه) الإسلامى الذى حله الجنرالات ..!

كانت مدينة (استانبول) قبل أن يتسلمها هذا الرجل أو هذا الشاب غارقة فى مشكلات عويصة استعصى حلها على جميع رؤساء البلدية السابقين .

مشكلات فى المواصلات . ومشكلات فى المرافق ومشكلات فى توفير المساكن للفقراء من أبناء الشعب . كانت (استانبول) – أكبر وأجمل المدن – تعيش مرحلة احتضار حقيقية .

وفى ظرف عام ، بعد تولى هذا (الشاب) شئون المدينة تغير كل شئ: توفرت وسائل المواصلات والنقل وتوفرت المساكن للفقراء

الباحثين عن مأوى .. وأصبحت المرافق تعمل بصورة جيدة في كل شئ .

حتى (المياه) التى كانت شحيحة أصبحت فائضة عن الحاجة .

وهنالك قصة لطيفة تتحدث عن نقص المياه في هذه المدينة : يقول رواة هذه القصة : إن رئيس البلدية دعا إلى إقامة صلاة (الاستسقاء) في جميع المساجد . فخرجت الصحف (العلمانية) تسخر وتندد بهذا الغباء وهذا التخلف .. !!

وكانت المفاجأة التى ألقمتهم حجرا .. فقد تجمعت السحب فى سماء المدينة فجأة .. وأمطرت السماء مطرا ملأ كل (الخزانات) الفارغة !!!..

لم يكتف الرئيس الشاب بكل هذه الإنجازات فقد خطا خطوات أخرى كان لها وقع الصاعقة فقد أغلق نوادي القمار والخمر . وذهب إلى زعيمة (الداعرات) فى المدينة - وهى أرمينية الأصل - يعرض عليها وعلى ضحاياها (التوبة) ويعدهم بتوفير حياة كريمة لائقة بعيدة عن الفجور والدعارة !

وعادت الصحف (العلمانية) تدق طبول الحرب ضد هذه (المصيبة القومية) !.. كيف يجرؤ رئيس البلدية على إغلاق

(أوكار الدعارة) وكيف يقضى على (بؤر الفساد) التى توفر للحكومة عشرة مليارات كل سنة ...... !!!!

لماذا حدث بعد ذلك لهذا الشاب التقى الصالح ؟!

فى (عموده) اليومى بصحيفة الأهرام كتب الأستاذ (أحمد بهجت) يقول : كنا نتهيأ لمغادرة اسطنبول ، وكانت طائرتنا تتحرك الساعة التاسعة مساء ولما كان المفترض أن يصل المسافرون إلى المطار قبل ساعتين من حركة الطائرة ، فهذا كان يعنى بالنسبة لنا عدة ساعات نقضيها فى السياحة ومشاهدة معالم المدينة .

ونحن نفخر فى مصر بأن القاهرة هى مدينة الألف مئذنة .. وأن فيها ألف مسجد إلى جوار الكنائس ، أما اسطنبول فهى مدينة تضم ثلاثة آلاف مسجد إلى جوار الكنائس الشهيرة .. واسطنبول مدينة تشبه كتابا مفتوحا من كتب التاريخ .

إن كل ركن فيها وكل بناء يحمل أثرا من آثار التاريخ .

مضينا نضرب فى طرقات المدينة ثم أحسسنا حين أقبلت الظهيرة أن هناك شيئا غير عادى قد وقع .. لقد بدأ المرور يتحول إلى البطء وضاعت سيولة الحركة فى شوارع المدينة ..

وبدأنا نتتبع الخبر .. كان الخبر من أعجب ما سمعنا فى

حياتنا الصحفية على كثرة ما شاهدنا وسمعنا من عجائب .

قيل لنا إن حركة المرور أبطأت وأصابها ما يشبه الشلل بسبب مظاهرة هائلة تتكون من مائة ألف مواطن تركي اجتمعوا في الساحات والميادين والشوارع ابتداء من مسجد الفاتح إلى مسجد بايازيد وسط اسطنبول .

سألنا : لماذا احتشدت المظاهرة ؟

قالوا : احتشدت المظاهرة احتجاجاً على قرار المحكمة الدستورية العليا بتأكيد حبس عمدة اسطنبول ورئيس بلدياتها (رجب طيب أردغان) .

سألنا :

ما هي الجريمة التي كانت سببا في الحكم عليه بالحبس ؟

قالوا : هي جريمة خطيرة .. لقد قرأ منذ ثمانية أشهر. وهو يخطب في الجماهير بيتاً من الشعر كتبه الشاعر التركي محمد عاكف ، وهو شاعر كانت له اتجاهات إسلامية ، وهو يقول في قصيدته :

(المساجد ثكنات المؤمنين ، وقبابها خوذاتهم ، أما مآذنها فهي رماحهم) .

بسبب بيت واحد من الشعر حُكم بالحبس على رجل له تقديره واحترامه فى الشارع السياسى التركى ، وقد اتهم بأنه يعمل على تقويض الأسس العلمانية للدولة التركية وإقامة نظام إسلامي .. هذه هى الجريمة التى دخل بها الشعر إلى السجن .!

فلماذا كل هذه الكراهية للإسلام ، ولماذا يقف جنرالات تركيا من الإسلام موقف البغض والعداء .. ؟

لنعد قليلا إلى الوراء .. إلى السبب الحقيقى لهذه الكراهية وهذا العداء .. وبعبارة أكثر - دقة ووضوحا - إلى هذا المستنقع الذى انتشر منه هذا الوباء وهذا البلاء ... !!!

(.... .... لقد بلغ الإسلام فى بداية القرن التاسع عشر نهاية جزره فى القوتين : المادية والمعنوية ، لأنه تلقى عن القرون السابقة أثقالا من المتاعب لم تمتحن أمة من قبله بمثلها ، ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الإسلام بعد ما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ...

وإنما الغريب عندهم هو تلك القوة المنيعة التى صابر بها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون ولم يزل بعدها وحدة إنسانية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم ..

ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة ، أو الدول التى سُميت بالإمبراطوريات فى العصرين القديم والحديث .

(وقد رأينا [1] كثيرا من المؤرخين يوازنون بين أخطار هذه الضربات ويجعلون الحروب الصليبية فى مقدمتها من هذه الحركات والإغارات ، أو يجعلونها فاتحة الضربات يتلوها ما تعاقبها من الأخطار والأخطاء) .

وهذه الحروب من غير شك كانت من أعظم الأخطار التى امتحنت بها الأمة الإسلامية . لكنها من غير شك أوقفت عوامل الشقاق بين الأمم الإسلامية ردحا من الزمن ... وكان صلاح الدين الأيوبى بطل هذه الحروب غير مدافع فى نظر الدول الأوربية ، ونظر الشرقيين على السواء (... فهو الرجل الذى هيأته العناية الإلهية لهذه المهمة العظيمة وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص والحرص على الجهاد ، والتفانى فى سبيله ، وعلو الهمة فى نصر الإسلام ، وحسن القيادة وقوة التنظيم ، والصلاح والديانة ، ومكارم الأخلاق ما لا يجتمع إلا فى أفذاذ الرجال فى العالم ، وقد توحد العالم الإسلامى من بين نهر الفرات ونهر النيل للمرة الأولى

---

(١) عباس محمود العقاد «الإسلام فى القرن العشرين» ص ٤٠ ..

- بعد مدة طويلة - تحت قيادته ، واجتمع تحت لوائه أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع من قبل)[1] .

إلا أن هذا الرجل الحليم الرصين ثارت ثائرته وجن جنونه حين سمع بعزم أرنولد(Arnold) صاحب (الكرك) على فتح الحجاز ، وإعداد العدة في البر والبحر لاقتحام المدينة المنورة وهدم المسجد النبوي .. ! فأقسم صلاح الدين ليقتلن هذا الرجل بيده إن مكنه الله منه .

فكانت موقعة (حطين) [2] التي تعد من المواقع الحاسمة في تاريخ الإسلام . وظفر صلاح الدين بشرذمة من الملوك والأمراء ... وعفا عنهم جميعا إلا أرنولد هذا .. فانه لم يقبل فيه شفاعة من أحد ... وتناول سيفه وضرب به عنقه بيده وهو يقول : برئت من شفاعة محمد إن قبلت في هذا الأحمق شفاعة شفيع [3] ... !

وقد مات صلاح الدين بعد ما قضى مهمته إلى حد بعيد ... وتراجع سيل الصليبيين بعد أن تعلموا دروساً جديدة مفيدة ..

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين - أبو الحسن الندوي ص ١٥٣..

(٢) قرية في فلسطين وعندها كانت المعركة الشهيرة بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين سنة ١١٨٧م ..

(٣) الإسلام في القرن العشرين ص ٤١ ..

درسوا جوانب الضعف والقوة في الجبهتين .. الجبهة الإسلامية ... والجبهة الصليبية ، وعاد المسلمون سيرتهم الأولى من انقسام وتنافس وغفلة ، ولم تزل قوتهم تضعف وتهن دون أن يشعر بذلك أحد ، حتى كانت الإغارة التترية التي تركت خلفها الدمار والخراب وكشفت للمسلمين وللعالم الخارجي - وبخاصة الصليبي - حقيقة أنفسهم وضعفهم وبعد أن اجتيحت بغداد زال ذلك الشبح وسقط (المجدار)[1] فعاثت الطيور والوحوش في الحقل وتجاسر الناس على المسلمين وبلادهم .

في ذلك الحين . ظهر الترك العثمانيون على مسرح التاريخ ، وفتح محمد الثاني مدينة (القسطنطينية) في سنة ٨٥٧ هـ-١٤٥٣م ..

لتجدد بهذا الفتح رجاء الإسلام . وانبعث الأمل في المسلمين . وكان فتح مدينة (القسطنطينية) دليلاً على قوة الأتراك الحربية . وحسن قيادتهم العسكرية .

كان عمره (محمد الفاتح) في ذلك الوقت أربعا وعشرين سنة !!..

---

(١) ما ينصب في الزرع لطرد الطير والوحش ، ويعرف في مصر بـ «خيال المآتة» ..

ويقول البارون كارادفو (Baron Carrdevauy) :

إن هذا الفتح لم يقيض لمحمد الفاتح اتفاقاً ، ولا تيسر لمجرد ضعف دولة (بيزنطة) بل كان هذا السلطان يدير التدابير اللازمة له من قبل ، ويستخدم كل ما كان في عصره من قوة العلم ، فقد كانت المدافع حينذ حديثة العهد ، فعمل على تركيب أضخم المدافع التي يمكن تركيبها يومئذ ، وانتدب مهندساً مجرياً ركب مدفعاً كان وزن الكرة - القذيفة- التي يرمى بها ثلثمائة كيلو جرام ، وكان مدى مرماه أكثر من ميل ، وقيل إنه كان يلزم هذا المدفع سبعمائة رجل ليتمكنوا من سحبه ، وكان يلزم له ساعتان لحشوه ، ولما ذهب محمد الفاتح لفتح القسطنطينية كان تحت قيادته ثلثمائة ألف مقاتل ، ومائة وعشرون سفينة حربية)[١] ...

ولكن كان من سوء حظ الأتراك والمسلمين معا أنهم أخذوا في الانحطاط والتدني ، ودب فيهم داء الأمم من قبلهم من البغضاء والتحاسد واستبداد الملوك وجورهم ، وسوء تربيتهم ، وفساد أخلاقهم ، وخيانة الولاة والأمراء ، وغشهم الأمة وإخلاد الشعب إلى الراحة والدعة ، وتفشى الجهل والخرافة .... ١.. وانقطع مابين

---

(١) حاضر العالم الإسلامي جـ ١ ..

المسلمين وعلومهم الأولى ، فندر فيهم من كان يتعلم النافع منها كالفقه واللغة والأدب والرياضة ، وانقطع ما بينهم وبين العلوم العصرية ، فنظر الكثيرون منهم إلى علوم الجغرافيا ، والطبيعة ، والكيمياء ، كأنها الكفر البواح ، أو السحر المزيف ، فاصطبغ فهمهم للدين بصيغة الجهل والتخريف ، وطلبوا الخلاص من غير بابه ، وتوسلوا للعمل بغير أسبابه ، واتهموا الناصحين ، وأرسلوا قادتهم للدجالين والمحتالين ، وفى هذه الفترة كان الإسلام كما يفهم الجهلاء مزيجا من الخرافة والشعوذة ، ومن الطلاسم والأوهام ، ومن الوثنية وعبادة الموتى وكان طلاب الفتوى - من مشارق الأرض ومغاربها - يسألون عن الكبريت هل يجوز مسه ؟!

وهل يجوز قدح النار منه ؟ أو طبخ الطعام على ناره ؟ أو يأثم من يمس صنفرته ، لأنه مادة نجسة تنقض الطهارة .)[1] ... !

ومع كل هذه العلل .. فقد كانت الامبراطورية العثمانية قلعة للإسلام ولم تكد هذه القلعة تنهار ، ويصيبها الوهن والضعف ، حتى فتح الباب على مصراعيه أمام الغرب ، وانطلق البخار المسموم من مراجل الحقد ليدمر كل من يقف في طريقه إلى الشرق!

(١) الإسلام فى القرن العشرين ص ٤٣ ..

(وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون التى تقدمته لأنه القرن الذى انبعثت فيه (المسألة الشرقية) [١] من بقايا الحروب الصليبية .. وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة (الرجل المريض)[٢] ..

وتبادل الإغضاء عن كل طرف متفق عليه يقع فى قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها على قيد الحياة .... [٣]

إن القلب ليمتلئ رعبا وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التى حيكت لتقسيم العالم الإسلامى وابتزازه ، والعمل على تدميره وتحطيمه ، وقد ذكر لنا المرحوم شكيب أرسلان مائة مشروع وضعت لتقسيم دولة الخلافة ، وفى هذا الحوار بين القيصر نيقولا إمبراطور الروسيا ، والسير هاملتون سيمور سفير بريطانيا تتضح

(١) كانت المسألة الشرقية تعنى فى أول الأمر تخليص الممالك المسيحية من أيدى الدولة العثمانية وفى مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول الإسلامية التابعة لها بين الدول الأوروبية ..

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الإمبراطورية العثمانية فى مرحلتها الأخيرة.

(٣) عباس العقاد - محمد عبده ص ١٠ ..

أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة ، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامي وتدميره [1] .

(... ففي ليلة سمر عند الغراندوقة (هيلانة) الروسية - ٩ يناير ١٨٥٣م قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون :

"تأمل ، نحن بين أيدينا رجل مريض ... ومريض جدا ، ويكون بالفعل وبالاً عظيما علينا إن خرج أمره من أيدينا !" .

وفي مرة ثانية دُعي السفير هاملتون لمقابلة القيصر فقال له أيضا :

" أنت لا تجهل المقاصد والمرامي التي لا تزال في الروسيا منذ عهد كاترينا ... وتركيا هي كما قلت لك - من قبل - رجل مريض ، ويجوز أن تموت بالرغم منا ! فتبقى عبئا علينا ، وليس في استطاعتنا نشر الموتى !" ....

(أفلا يكون من الأفضل بحقنا -تفاديا لحروب أوروبية - أن نتفق من قبل على أمرها حتى لا نؤخذ على غرة ! وإنني أقول لك بصراحة .. إننا إن استطعنا أنا وانجلترا أن نتفق في هذا الموضوع لم يهمنا الآخرون ... وأنا لا أكتمك أنه إن كان في نية انجلترا

---

(١) حاضر العالم الإسلامي جـ ٣ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ..

الاستيلاء على الآستانة فلن أتحمل ذلك . لا أقول إن لكم هذه النية ، ولكن أقول إن صحت هذه النية فلن أكون راضيا ، وأنا نفسي أتعهد أيضا بأن لا احتلها مالكا ... أما بصورة مؤقتة على سبيل الاستيداع فقد أرضى ... !!!

وإما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها ، فقد يجوز أني أحتلها قولا واحدا .. !!!) .

فأجاب السير هاملتون :

(ليسمح لي جلالتك بالقول إنه ليس عندنا أدنى سبب للظن بأن المريض هو على وشك الهلاك !) .

فرد القيصر في حدة قائلاً :

(إذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لاتزال فيها عناصر الحياة فتكون المعلومات التي لديها غير صحيحة ... وأنا أؤكد لك أن المريض هو في حالة الاحتضار وأنه لا يجوز أن يموت ونحن عنه غافلون .. بل يجب أن نتفق .. ولست أكلفكم عقد معاهدة .. أو تحرير صك .. وإنما أطلب كلمة اتفاق عامة ، وهذا كاف فيما بين الرجال الأكياس !!!) .

لم يحدث في التاريخ ، وفي أشد عصوره همجية أن تآمر

رئيس دولة على دولة مجاورة ، والعمل على تدميرها بهذه الطريقة التى كان يفكر بها قيصر الروسيا ، ولم يحدث فى أظلم عصور التاريخ ، وأشدها همجية ووحشية أن حكم رئيس دولة على دولة أخرى بالموت ، وحدد ساعة موتها بهذه الطريقة ، ولم يحدث ولن يحدث فى المستقبل كما نظن ، ولكن الأحقاد التى تشعبت جذورها فى العقل الأوروبى وغارت فى أعماق مشاعره وإحساسه هى التى كانت تخطط لهذا العمل الهمجى ، وتنظم هذا الهجوم الوحشى ... وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملى ....

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزى تعبيرا عن موقف حكومته أم لم يكن فإن الواقع ينفى كل اعتبار لحسن النية ، واعتقادنا هو: أن بريطانيا لم تشأ أن تشرك روسيا معها فى اقتسام الغنيمة .

لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامى فى كل أقطاره ، وأحاطت به الجيوش والأساطيل فى عقر داره ، دمرت بريطانيا ممالك الإسلام فى الهند ، وسيطرت على الخليج ، واحتلت فى طريقها عدن . وأبحرت أساطيلها شرقا وغربا ، فلم تدع جزيرة فى بحر أو مدينة على ساحل .

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا ، فاحتلت الجزائر والمغرب

وتونس .

وذهبت إيطاليا إلى الصومال واريتريا ، وسيطرت هولندا على جزر الهند الشرقية بأكملها ، وأحيط بممالك الإسلام وسلطناته فى شرق وغرب إفريقيا وأخيرا وقعت مصر والسودان فى قبضة بريطانيا ...

لقد سقط (الجدار) ومشت سكة الأجنبى فى حقل الإسلام ، وتداعت الأمم على المسلمين كما تنبأ النبى ﷺ قبل ذلك بأكثر من ألف وأربعمائة عام (١) ....

كانت النازلة شديدة ، والكارثة كبيرة ، والمعركة ضد الإسلام والمسلمين ضارية عنيفة ، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول المؤرخ الجبرتى :

(... أول سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، توالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال ، واختلاف

---

(١) فى حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها" .. الحديث رواه أبو داود والبيهقى فى دلائل النبوة . أنظر : مشكاة المصابيح جـ ٢ طبعة المكتب الإسلامى ١٣٨١هـ ..

الأحوال ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، (وما كان ربك ليُهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)[1] .

ولقد لعبت (اليهودية العالمية) دورا رئيسيا في إسقاط دولة الخلافة ، وهو دور يرجع إلى أسباب كثيرة .

من أهمها وقوف هذه الدولة في وجه مطامع اليهود الذين كانوا يخططون لاستلاب فلسطين منذ قرون عديدة .

فقد تطلع اليهود على مر العصور التاريخية إلى فلسطين كإقليم يجمع شتاتهم [2] وينشئون فيه دولة . وكانت أصواتهم تعلو حينا وتخفت حينا آخر تبعا للملابسات التى أحاطت بهم ، وتبعا لظروف الدولة التى كانت تمارس سيادة فعلية على فلسطين ، ولكن لوحظ أن أصواتهم ازدادت ارتفاعا بل ضجيجا وعلى فترات متقاربة منذ الثمانينات في القرن التاسع عشر ، وتنادوا إلى تهجير اليهود المشتتين في أنحاء العالم إلى فلسطين وإنقاذهم من الاضطهاد الذى يتعرضون له في المجتمعات التى يعيشون فيها ،

---

(١) عجائب الآثار للجبرتي - ط . دار الشعب بالقاهرة ..

(٢) الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها - د . عبد العزيز الشناوى ص ٩٧٣ وما بعدها ..

وطالبوا بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وأطلقوا على حركتهم اسم الحركة الصهيونية نسبة إلى صهيون وهو جبل يقع على المشارف الجنوبية لمدينة القدس القديمة تأكيدا لإصرارهم على إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وشقت هذه الحركة طريقها بما توفر لها من قيادات سياسية على أعلى المستويات العلمية ، ووسائل الدعاية والإعلام ، والتنظيم الدقيق ، والتمويل الرتيب وما إلى ذلك من عناصر القوة ، وأنشأت الحركة منظمات أو أجهزة صهيونية تتولى اتخاذ الخطوات التي تؤدي في النهاية إلى تحقيق هدفها المنشود ، ونجحت في استقطاب الدول الكبرى إليها عطفا وتأييدا وبذلا ، ولئن كانت فلسطين تعتبر في نظر اليهود أرض الميعاد تشدهم دينيا إليها ، فقد أصبحت أيضا أرض الخلاص تجذبهم سياسيا إليها يقيمون فيها دولة يتفيأون في ظلالها الأمن بعيدا عن الاضطهادات الدينية وتعيد إليهم مجدا سياسيا تألق في فترة قصيرة موغلة في القدم ثم ذوى أعصراً ودهورا وعاشوا على ذكرياته يبكون ويتباكون ...

وكان على الدولة صاحبة السيادة وقتذاك على فلسطين ، وهي الدولة العثمانية أن تخوض دفاعا عن فلسطين صراعا سياسيا

مريرا ضد القوى الصهيونية والدول المناصرة لها . ونجح الصهيونيون في توقيت حركتهم نجاحا باهرا ، فاختاروا فترة عصيبة من فترات الاضمحلال التى كانت تمر بها الدولة العثمانية واتضح للمراقبين السياسيين فى ذلك الوقت مدى التدهور الذى أصابها فى مواجهة الزحف الاستعمارى الأوروبى على ممتلكاتها بحيث أصبح سقوطها وشيكا . فلم يعد للدولة الوزن السياسى أو الثقل العسكرى الذى كانت تتمتع به على عهد سلاطين الفترة الأولى . ولذلك فلم يكن فى مقدورها أن تخوض بنجاح صراعا سياسيا رهيبا ضد الصهيونية والدول الأوروبية لعملت فى حدود إمكانياتها على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

كان السلطان عبدالحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية فى الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة هيكل سليمان نتيجة المخططات التى كان يجرى تنفيذها فى الامبراطورية العثمانية تحت ستار التنظيمات الماسونية التى نشرتها قوى اليهودية فى مختلف أنحاء بلاد الخلافة . وكانت ركيزتهم الأساسية هى جماعة الدولمة فى سالونيك . هؤلاء اليهود الذين كانوا قد هاجروا من الأندلس بعد سقوطها فى يد الفرنجة وانتهاء الحكم الإسلامى فيها فقد قصدوا

إلى تركيا ليستظلوا بظل المسلمين بها ، وفي سالونيك كانت خطتهم لإقامة المحافل الماسونية واستقطاب الاتحاديين لخدمة أهدافهم ، حتى استطاعوا إسقاط السلطان عبدالحميد حين عجزوا عن إغرائه أو احتوائه وكان للاتحاديين [1] دورهم الخطير في هذه المؤامرة .

كان هرتزل قد حاول إغراء السلطان ليسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين ورفض العروض التى قدمت له فوضعهم أمام قرار التخلص منه : وقد وضح هذا فى مذكرات هرتزل ، كما أشار إليه السلطان في الوثيقة المعروفة التي نُشرت أخيرا :

(إنني كأمانة فى ذمة التاريخ لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى إننى بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقى المعروفة باسم (جون ترك) وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة . إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم مائة

---

(1) الاتحاديون اسم يطلق على بعض الأتراك الذين يرون الرابطة القومية أهم من الرابطة الإسلامية ..

وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا . وأجبتهم بالجواب القطعي :

إنه لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل تكليفكم ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فكيف أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين ، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي .

وبعد جوابي اتفقوا على خلعي فقبلت التكليف وحمدت المولى أنني لم ألطخ وجه الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي) ...!!!

وهكذا دفع السلطان عبدالحميد ثمن موقفة الحاسم من الصهيونية العالمية وكان للنفوذ الأجنبي مشاركة ضخمة في هذا الأمر ، ذلك لأن اللواء الذي رفعه تحت اسم (الجامعة الإسلامية) : خارج نطاق الدولة العثمانية : يامسلمي العالم اتحدوا قد هز الدوائر الاستعمارية هزا شديدا ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :

(١) إسقاط السلطان عبدالحميد : وهذه كانت مهمة الاتحاديين .

(٢) إسقاط الخلافة العثمانية : وهذه مهمة الكماليين [١] .

ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرع دوحة واحدة : تقاسمت العمل على مرحلتين للإجهاز على الدولة العثمانية والخلافة وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق العرب والترك ولتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسي من اقتسام تركة كان يطلق عليها (اسم الرجل المريض) ...

وقد كان السلطان عبدالحميد يعرف دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل (بالدونمة) والمحافل الماسونية ومخططات الاتحاديين (تركيا الفتاة) وفي مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التي يدور حولها تآمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل هذه الوساطات التي بذلها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة : انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع .

إنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهي ليست ملك يميني بل هي ملك شعبي .

---

(١) كمال أتاتورك وأتباعه ..

لقد قاتل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فلحتفظ اليهود بملايينهم . إذا مزقت إمبراطوريتى فلعلهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك التمزيق أولا فى جثثنا . وإنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ...!!!

لى المركز الإسلامى فى لندن عندما سافرت إلى بريطانيا فى أول مرحلة من مراحل البحث للحصول على درجة الدكتوراه . التقيت بأحد أولاد السلطان عبدالحميد الذى كان يقيم لاجئا فى بريطانيا ...

سألته عن أبعاد الحركة التى أطاحت بوالده من سدة الخلافة والحكم ؟... لأجاب - بينما كان يسترجع ذكريات هذه الأيام العصيبة- قائلاً : هناك سببان رئيسيان لهذه الأحداث الأليمة :

أولهما : موقف والدى من الحركة الصهيونية ورفضه رفضا باتا بالسماح للهجرة اليهودية إلى فلسطين ...

وأما ثانيهما :-فلأن والدى حاول فى سنوات حكمه الأخيرة إحياء الوحدة الإسلامية للوقوف صفا واحداً فى وجه المؤامرات التى كان يحيكها الغرب ضد الخلافة التى كانت تمثل -فى ذلك

الوقت - راية يتجمع حولها المسلمون في الشرق والغرب .

وأضاف قائلاً : إن والدى لم يكن بهذه الصورة البشعة التى تصوره بها دوائر الغرب ومن ورائها الصهيونية العالمية ، لقد كان مسلما قوى الإيمان والعقيدة .

كما كان فى حياته (الخاصة) (صوفيا) يحرص على قراءة (أوراده فى كل ليلة) ... ولن نجد أصدق من هذه (الوثيقة) التى بعث بها السلطان من منفاه إلى شيخ الطريقة الشاذلية تقول هذه الوثيقة :(الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتى هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض الروح والحياة ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندى أبى الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة !!!

بعد تقديم احترامى ، أعرض أنى تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢ مارس فى السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدى ، إنى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد

الشاذلية ليلا ونهارا وأعرض أنني مازلت محتاجا لدعوالكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة في ذمة التاريخ .

إنني لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما . سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك) وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على أن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف .

وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبا . فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا . وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الآتي :-

(إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا - فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهبا فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي . لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية . مايزيد عن

ثلاثين سنة ، فلم أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً) .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي ، وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة (فلسطين) .

وقد كان ذلك ماكان . ولذا فإنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال.

وأعتقد أن ماعرضته كاف في هذا الموضوع المهم ، وبه أختم رسالتي هذه ألثم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامي وسلامي إلى جميع الإخوان والأصدقاء .

يا أستاذي المعظم ، لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعني لهذه الإطالة أن أحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم بذلك علما ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

عبدالحميد عبدالمجيد

(كان أصحاب العقول المحركة لحركة الانقلاب والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهودا من الدونمة [١] أما المساعدات المالية فإنما كانت تصلهم عن طريق الدونمة ويهود سالونيك [٢] الممولين . وتقول صحيفة المشرق) .

(بأن الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفا) وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية وغير تركية فمنذ نشأتها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص ...

كان (جاويد) يهوديا من الدونمة وقارصوه من اليهود الأسبان وكذلك طلعت بلغاريا أما احمد رضا فقد كان نصفه شركسيا والنصف الآخر مجريا ، أما نسيم روسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين .. ويقول :-

ويبرز دور اليهود ثانية في حادثة خلع السلطان عبدالحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد

---

(١) الدونمة معناها : المرتد عن اليهودية ظاهراً والمرتد عن الإسلام باطنا ..

(٢) سالونيك : تقع حاليا في بلاد اليونان ..

ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت وأسعد طوبتانى وغالب باشا ومن زعماء اليهود قراصوه رئيس المحفل الماسونى فى سالونيك وشلمون ابران ووصلوا إلى يلدز لابلاغ السلطان نبأ الخلع .

وكانت مشاعر التأثر والانزعاج بادية عليه فقال بغضب :

ماهو عمل هذا اليهودى . (يقصد قراصوه) فى مقام الخلافة.

بأى قصد جئتم بهذا الرجل أمامي . ويذكر النقيب التركى (دبيريلى) بأن السلطان عبدالحميد حدثه عندما كان مسجونا فى سلانيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيونى هرتزل ورئيس الحاخامات فى تركيا فقال:

تصور أن هذين اليهوديين مثلا أمامى ليقدما إلى سلطتنا رشوة ، صرخت في وجههما قائلاً :

أن اخرجا من هنا ، إن الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر أن يقودوهما حالا إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائى فما ألاقيه هنا فى سلانيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائى منهم حيث لم أرض أن أقتطع لهم أرضا لدولتهم المزعومة) ...

ويذكر السلطان نفسه في وثيقة على قدر من الأهمية موقف الاتحاديين والصهيونية من سياسته .

فيقول : إن هؤلاء الاتحاديين أصروا على أن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة -فلسطين - ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليره إنجليزية ذهبا فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي وأبلوغني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك) .

(... والآن لنبدأ القصة من أولها [1]) :

ففي عام (١٦٦٥م) ادعى حاخام في (أزمير) يدعى (شبتاي زيفي) أنه المسيح ابن الله ، بعثه ليهود العالم مرشدا ومنقذا . وكان أول بيان له كما يلي :(من ابن الله الولد الأول والوحيد له (شبتاي زيفي) المسيح والمنقذ الإسرائيلي . إلى بني إسرائيل السلام . لما كان لكم شرف المعاصرة لخلاص بني إسرائيل . ولتحقق ماأخبر به الأنبياء ، والآباء ، تحولت آلامكم إلى مسرات وصيامكم إلى التنعم بالملذات . يابني إسرائيل ، لن يكون لكم

---

(١) د . محمد طه الجاسر - مجلة العربي - العدد ٤٧٣ ..

بعد اليوم بكاء وقد منحكم الله قوة للتأسى يصعب التعبير عنها حافظوا على عباداتكم التى اعتدتم عليها من قبل ماعدا يوم الحزن والحداد فإنه - تكريما لقدومى - يتحول إلى يوم شكر ومسرة لا تخشوا شيئا أبدا فان حاكميتكم ستشمل جميع الشعوب وستكون على الكائنات الحية كلها ، سواء التى على وجه الأرض أو التى فى أعماق البحار) .

وتنتشر دعوته ، ويكثر أتباعه ، ويشاع الكثير عن معجزاته ، وأهمها أنه لا تخترق جسمه السهام ولا تعمل فيه السيوف والحراب . وتصل أخباره إلى الآستانة ، ويرى فيه رجال الدولة العثمانية نشاطا هداما يسمم العقول الساذجة ، فيأمر السلطان العثمانى فى ذلك العهد (محمد الرابع) بإحضاره إلى القصر فى جلسة خاصة حضرها السلطان نفسه والصدر الأعظم (أحمد باشا الكوبرلى) ونخبة من رجال الدولة ، وأخبروه أنه تأكيدا لصدق دعوته سيعرضون جسده لوابل من السهام من ثمانية من أمهر الرماة . وكما كان متوقعا ارتعد الرجل من رأسه إلى قدميه ، وحاول أن ينكر كل شئ ، ولكن القرائن كانت دامغة ، حينئذ خطرت له فكرة شيطانية يلجأ فيها إلى خديعة ينجو بها برأسه

وينفذ حياته لاختراق الأمة التركية وتضليلها لمأخذ يتوسل إلى السلطان ويعده إن عفا عنه أنه سيعتنق الإسلام ، وسيكون من دعاته المخلصين ، وربما كان ذلك سببا في هداية اليهود إلى الإسلام ، وهكذا أشهر الرجل إسلامه وسمي نفسه (محمدا) ولبس الجبة والعمامة ، وعين له راتب شهري وخصص له جناح في القصر درءا للفساد ، ولكيلا يختلط بالناس ويعود سيرته الأولى .

ويذكر المؤرخون أن إسلامه كان نكبة على الدولة الإسلامية والمسلمين بقدر ما كان انتصارا لليهودية العالمية ، فإسلامه كان مجرد كلمة فاه بها لينجو برأسه وليخلق سرطانا رهيبا في الجسم العثماني يستفحل وينتشر ، وينتقل بالوراثة من جيل لآخر ، محافظا على نشاطه الهدام ، إذ ما لبث (المهتدي) أن طلب إذنا من القصر ليقوم بنشاط جدي ، يدعو فيه ذويه وأقاربه ومن يثق به إلى الإسلام وقد استجاب القصر لذلك ، فسمحوا له بجولات في أنحاء البلاد وأطلقوا وراءه رجال المخابرات .

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد أخذ الرجل يدعو كل من استمع إليه والتف حوله من اليهود في تركيا ، إلى أن يشهروا الإسلام بأفواههم ، ويمارسوا

نشاطا هداما ، لإفساد الأمة التركية وجعلها آلة فى أيدى الصهيونية وأشهر اجتماع انكشف فيه أمره كان فى إحدى ضواحي اسطنبول على البوسفور تدعى (كورو جشمه) حيث ضبط يخاطب أتباعه بالعبرية ، وأهم ماقاله :(الآن قد أصبحتم مسلمين اعملوا بكل حرية ، عليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية والمالية والتجارية والروحية والحيوية للأتراك ، واستنفروا فى سبيل ذلك كل إمكاناتكم ، واستخدموا مختلف الوسائل حتى تتم لكم السيطرة الشاملة عليهم) ، حينئذ ألقي القبض على الرجل ، وكان من المفترض أن يعدم لولا أن تدخل شيخ الإسلام ونصح بنفيه إلى مكان يؤمن فيه شره ، لأن قتله سيجعله شهيدا ويضاعف من الأساطير التى أشيعت حوله ، وهكذا تم نفيه إلى (سلانيك) ولحق به الكثير من أتباعه ، وهكذا أيضا تحولت المدينة إلى مركز للدونمة ومصدر إشعاع للخيانة والتآمر والأفكار المسمومة فيها وضعت كل الخطط التى أدت إلي تصفية الدولة العثمانية ، ومنها انبعثت كل الأفكار التى اتخذت طابع التحرر وعملت فى الشخصية التركية تحطيما حتى تمكنت من تسخير فئة قليلة لمآربها ، ووجهتها وجهة لا يربطها بالعرب والمسلمين إلا العداء والنفور . من (سلانيك)

خرج كل من ساهموا فى تحقيق المطامع الصهيونية وفيها زرعت بذور البغضاء بين الأتراك والعرب ، وحيكت المؤامرات لتفتيت الدولة العثمانية وتوزيعها على دول الغرب وإقامة دولة إسرائيل .

وفى مقدمة هذه الفئة : جمال وأنور ونيازى ... وآخرهم مصطفى كمال الذى لقب بعد انقلابه (أتاتورك) أى أبو الأتراك !!

وفور أن استولى الاتحاديون على السلطة بمساندة المثلث المشئوم كان أول شئ فعلوه أن فتحوا لهم أبواب اسطنبول والمدن التركية الكبرى بل وحتى أبواب فلسطين أيضا ليهاجر إليها اليهود ويستوطنوا فيها . وإلى سلانيك نفى السلطان عبدالحميد الثانى ، الذى - على الرغم من كل ماكتب عنه من أباطيل - يثبت التحليل الموضوعى لوقائع التاريخ أنه كان ذا توجه إسلامى وعربى فى سياسته ، كما أنه وقف ضد أطماع الصهيونية فى فلسطين ورفض إعطاءهم أى امتيازات بالرغم من العروض المغرية لدعم ميزانية الدولة بمبالغ طائلة من المال .

فى اسطنبول بدأت جماعة (الدونمة) بالسيطرة على مقدرات البلاد ، بدءا بالحكام والعسكريين فرجال الدين حتى أن أول شيخ للإسلام عين فى بدء عصر نفوذهم كان : (موسى كاظم أفندى)

في ١٢/٧/١٩١٠ في أوائل عهد الاتحاديين ، وأخذت تصدر عنه تصرفات وفتاوى تخدم أغراضهم وتبرر تصرفاتهم ، ثم وضعوا أيديهم على موارد البلاد فجرى تعيين (دونمة جاويد) وزيرا للمالية وفي عهده تقدم الدونميون في المجالات الاقتصادية ، والتجارية ، واستطاعوا بالربا الفاحش والاحتكار وبالاحتيال والاستغلال أن يسيطروا على الأسواق الداخلية ، ثم انتقل نشاطهم إلى الإعلام والثقافة ، فأسسوا صحفا تدعو لكل مايتنافى مع الإسلام ويزعزع ثقة التركي بمعتقداته وتراثه ، فأصدر (أحمد أمين يالمان) جريدة الوطن) ثم قدموا الدعم المالي لبعض أتباعهم لإصدار الصحف الموالية لهم كصحيفة (حريات) واغلب صحف اليوم ، إما يملكها ويديرها الدونمة ، أو تتلقى الدعم المالي منهم ، شريطة أن تسير في فلكهم وتحقق أغراضهم . من هذه الصحف نذكر (ملليات) وجريدة (صباح) الأكثر انتشارا والأشد عداوة للإسلام والمسلمين والعرب باعتبارهم حملة الرسالة ، ثم قام (عمر رضا دغرول) وهو من الدونمة أيضا بترجمة القرآن ودعا إلى قراءته في الجوامع والصلوات بالتركية ، كما ترجم الأذان ومنع الآذان بالعربية وألف (ألف تكين الب) وهو يهودي الأصل وكان يدعي قبل إسلامه

(وايز كوهين) - كتابا أسماه (التتريك) ونشره بين طبقات الشعب يدعوهم فيه إلى نبذ كل مايتعلق بدينهم وتراثهم لأنها رموز التخلف والرجعية ولقد ورد في إحدى صفحاته (ومما لا ينكر أن الدين شئ إضافي ، أو بعبارة أخرى أمر ثانوى بالنسبة للإنسان وتنظيم حياته .

وأن الذين فسدت مشاعرهم السامية وتحللت روابطهم القومية ، فالدين لهم ، والدين عندهم كل شئ) .

ثم كانت انقلابات (أتاتورك) والرجل من سلاتيك وهناك شبهات حول جذوره ، أن الرجل كان قائدا عسكريا فذا ، وهو بطل معارك الدردنيل أثناء الحرب العالمية الأولى التي أفشلت حملات الأسطول البريطاني لاحتلاله ، وحين قام بانقلابه اعتمد على قائد الجيش المؤمن (الجنرال فوزى جقمق) وتظاهر بأنه مسلم ملتزم ومؤمن صالح ، فكان يحرص على حضور صلاة الجمعة ويدعو الله رافعا يديه إلى السماء ، إلا أنه ما كاد يستتب له الأمر حتى أعلن علمانية الدولة ، وأخذ يقضى على كل رابطة مع العالمين العربي والإسلامي فألغى الكتابة بالحروف العربية ، ودعا إلى التخلص من المصطلحات العربية في اللغة التركية ، ومكن نخبة من الدونمة من

مقاليد الحكم الذين بدأوا حملة القضاء على هوية الشعب التركى بدءا بدينه ومعتقداته ، وإثارة العداوة والكراهية بينه وبين العرب والمسلمين ، ومازال هذه الحملة حتى الآن ...) ...

كان (أتاتورك) كما يقول عنه صديقه ومؤرخ سيرته (عرفن أوركا) (١)

(كان قليل الاختلاط ، غير محبب بين الأصدقاء فى حياته المدرسية ، كان أصدقاؤه قليلين جدا ، كان يثور ويهيج بسرعة ، وكان فى صفه طالبا مثاليا ذكيا مجتهدا متواضعا ، وكان شديد الغرام بالإناث ، يجذبه هذا الجنس كالمغناطيس .. !!!

وكان يتسلى بالخمر ويشغل نفسه بها فإنه لا يجد مايسلى به نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر لأنه كان لا يؤمن بهما ...

وكان يشعر بفرح وسرور حين يعتدى على الآخر ويسطو به ، وكانت هذه طبيعته التى فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة فى تصرفاته .

ولم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لا يرى أحدا يوازيه ، وكان

---

(١) نقلا عن كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» العلامة أبو الحسن الندوى ص ٥٦ وما بعدها ..

مفطورا على حب التغلب على الآخرين وإخضاعهم لإرادته وهواه ، وكان يحب أن يبقى على القمة دائما ، وقد اطلع على كتابات والتر وروسو ، التى بعثت فيه روح الثورة وأيقظت فيه عواطفها الخامدة) .

(وقد هضم فى شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك ألب هضما جيدا ، وقد كافح كوك ألب للتنور والحرية الدينية ، وكان رائد التنور الفكرى الغربى ، وقد تكهن فى سنة ١٩٠٠ م بانقراض الدولة العثمانية واضطراب حبلها ، وأنه واقع لا محالة لأنها عضت بالنواجذ على أسس الحكومة الفردية وكان يقول فى أكثر الأحيان (إن الحكومة الدينية حليفة ولية للحكومة الفردية دائما) ، وقد انتصر للتحرر عن السلطة الدينية انتصارا قويا ، وكان يرى أن تحدد سلطات العلماء ، ويجب أن تحدد الجماعات الدينية المختلفة ، ويحظر على الأحزاب المتحمسة للدين ويضيق الخناق عليها لأنها (كما يقول) تقع فريسة الشيطان فتهتف بالجهاد ، وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاة المحاكم الدينية الذين يشرحون القانون الإسلامى ويفسرونه ، وكان يرى أن تقام المحاكم الحديثة والمحاكم الدينية) ... !!!

ويقول متحدثا عما كان يضمره ويعتقده كمال عن الدين عامة وعن الإسلام بصفة خاصة وعن وجهة نظره فى كل ذلك :

(قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين ، فانه منافسه الأكبر وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله ، إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة ، وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس [١] ، وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملا هداما فى الماضى ، وأنه قد جنى على تركيا جناية كبيرة وألحق بها خسائر فادحة ، وقد تناسى أن الإسلام وحده هو الذى أسس الامبراطورية العثمانية الواسعة ، وكان يرى الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجمود بتأثير الإسلام ، وكان يبغض الرجل الذى يخضع للقضاء والقدر ويقول :

- (هكذا أراد الله) (وهذا الذى قدرلى) وكان يعتقد أنه لا وجود للإله ، والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول فى أكثر الأحيان : إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على (قسوة) الإله ، ولكن يقول المتدينون : (الله يمهل ولا يهمل) كان يقول : ألم يطلع هؤلاء

(١) وقد ذكر المؤلف فى كتابه أن كمال أتاتورك فى آخر عهده كان يرفع قبضته ويشير بها إلى السماء ساخراً مهدداً ..

المتدينون على الطاقة الكهربائية التى تشتغل بسرعة ؟ (وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين فى تركيا ، ولو احتاج ذلك إلى استخدام القوة وإلى الخدعة والتضليل) .

ويقول فى موضع آخر :

(ولم يكن لديه معنى لمبادئ علم النفس وللنظريات والفلسفات لذلك لم يمنعه شئ عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشيئا لا حاجة إليه ، ولكن الذى أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو (الإله الجديد) أى الحضارة الغربية ، وليس من الغريب أن الأمة قد حاربت لروحها وقد تعلم درسا من تاريخ المدنيات الأخرى أن الآلهة القديمة تموت بصعوبة وعسر (لذلك لا تخرج عقيدة الإله من قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة) .

ويقول فى موضع آخر :

(وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضا شديدا ، وكان يقول : يجب أن نكون رجالا من كل ناحية ، قد قاسينا خطوبا ومصائب عظيمة وكان السبب فى ذلك أننا عشنا فى عزلة عن الحياة ولم نحاول معرفة اتجاه العالم ويجب أن لا نحتفل بما يقول الناس ، نحن فى طريق الحضارة والمدنية ، ويجب

أن نعتز بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين فى نواحى العالم الإسلامى .. إنهم يعانون من المصائب والنوازل والدمار ، لماذا ؟

لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للانسجام مع هذه الحضارة السامية المشرقة ، وهذا سبب بقائنا مدة طويلة فى الحضيض ، وراء الركب ، وترديننا الآن فى الهوة السحيقة ، وان استطعنا فى السنوات الماضية أن ننجح إلى حد فى إنقاذ أنفسنا فذلك لأن عقلياتنا قد تطورت ، ولكننا لا نقف على مكان ، بل إننا نهضنا لنتقدم ونواصل السير إلى الأمام فليحدث مايحدث ، ليست لنا الآن طريق أخرى ، ويجب أن تعلم الأمة أن الحضارة نار ملتهبة تحرق جميع من لا يخضع لها .

ويذكر بغضه وعداءه للدين فى موضع آخر ، فيقول :

(لم يكن ذلك سرا أن "مصطفى كمال" لا يدين بدين ، لذلك كان شائعا بين الناس أن الخلافة ستلغى قريبا ، وقد فزع الناس حين شاع أن "مصطفى كمال" رمى المصحف على رأس شيخ الإسلام الذى كان من كبار علماء الإسلام وشخصية محترمة) !!!

ويذكر المؤلف حبه وهيامه بالحضارة الغربية وما كان لها فى نظره من القدسية والحرمة وكيف كانت تسيطر على عواطفه

وتتغلغل فى عروقه ودمه ، فيقول :

(إن مصطفى كمال كان يتمسك إلى حد كبير بما يلقن ويقول ويأمر به الناس ، وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة) بحماس ولهفة وكان له عابدا وفيا ، وقد نشر هذه الكلمة (الحضارة) من أقصى البلاد إلى أقصاها وعندما يتحدث عن هذه الحضارة تتقد عيناه لمعانا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة) .

ماذا كانت فكرته عن الحضارة وكيف كان يريد أن يرى الأمة التركية؟

يقدر ذلك من الكلمات التالية التى يذكرها المؤلف :

(يقول مصطفى كمال لشعبه : يجب علينا أن نلبس ملابس الشعوب المتحضرة الراقية ، وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة راقية ، ولا نسمح لمن يجهلنا فى الشعوب الأخرى بالضحك علينا وعلى موضتنا القديمة البالية ، نريد أن نسير مع التيار والزمن) .

(كان يتصور تركيا متطورة مصوغة فى صياغة جديدة ، ولكن المواد الخام الإنسانية التى رزقها الشعب التركى) كانت مجموعة بشرية تتسم بالتشاؤم والكآبة ولم تتناولها يد صناع حاذق شأن

الأغمار الذين يدخلون فى الخدمة العسكرية جديدا ، بدأ يشتغل وحيدا وهو دافق بالحياة لا يثق إلا بنفسه ، لا يهدأ ولايستريح ، وقد أصبح التدخل فى شئون غيره عادة ، وكان ممتلئا بالحيوية والقوة الفكرية) .

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس ، والزم لبس القبعة على الرأس عوضا عنه لكى ينصبغ الشعب التركى بصبغة الأمم الغربية بأسرع مايمكن ، ويندمج بها اندماجا كليا ، ولاتبقى ميزة يمتاز بها الشعب التركى عنها .

استعمل القوة النادرة والعنف البالغ فى تحقيق هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ، وكأن سعادة الشعب كانت تتوقف على ذلك ، وكأنه الشرط الأساسى لمجد تركيا وكرامتها ، وأن حرب القبعة الدموية تحولت إلى حروب صليبية .

يذكر مؤلف سيرته التركى هذه المعركة ويقول :

(وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، حتى أصدرت الحكومة أمرها لبارجة بالبقاء فى ميناء البحر الأسود ، وأقيمت المحاكم فى كل ناحية وصوب وفى أمكنة مختلفة للبلاد ، وبدأت تشتغل وتحكم ، أن هذه الأحكام أهاجت الثوار أكثر من

ذى قبل ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا فى قلوب الناس روح المقاومة والحماس الدينى القوى ، أو اضطروا لأن يختفوا عن الأنظار ، ولم يستعمل رفقا ورحمة ومسامحة فى مناسبة وقرر مصطفى كمال تنفيذ المشروع وإتمامه ، ولم يكن يحتفل بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن ، يلقى القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين سواء ...

إن كمال لم يؤنب المحاكم على إجراءاتها العنيفة ولم يتوقف فى تحطيم إرادة الشعب .

وكان يقول في ذلك الحين فى فخار وكبرياء :

(أنا تركيا ، هزيمتى هزيمة تركيا) وقد أثارت هذه الأنانية الجنونية أولئك الذين كانوا يعدونه منقذ تركيا وقد كسبت معركة القبعة أخيرا ، وفازت المحاكم واعترف الجمهور والشعب بهزيمتهم وقد أرسل مصطفى كمال مندوبا من قبله من أعضاء البرلمان أديب ثروت إلى المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة (١٩٢٧م) ليثبت للعالم نجاحه وانتصاره وكان أديب ثروت المسلم الوحيد الذى حضر المؤتمر وهو لابس قبعة ، وقد استقبله الممثلون المسلمون الآخرون بانقباض

وعلى غضاضة ..

ولقد نظر الكثيرن من الزعماء والقادة إلي مصطفى كمال نظرة إعجاب وحب وكان المرحوم مصطفى النحاس باشا من المعجبين به هنا فى مصر ...

وقد ذكر الرئيس محمد أنور السادات أنه تأثر به فى مرحلة مبكرة من العمر ، وأن والده كان يعلق صورته فى البيت ، ويشيد بزعامته وجهاده في كل وقت ...

فهل كان (أتاتورك) يستحق كل هذا الإعجاب والحب ؟

إن ما فعله الرجل لتحرير بلاده عظيم من غير شك .

لكن ... قليل هم العظماء والزعماء الذين يشرون هذه العظمة وتلك االزعامة إلى نهاية الشوط ....

هتلر ... كان أكثر عظمة من أتاتورك ... وانتهى به الأمر إلى الانتحار في قبو مظلم تحت الأرض وموسولينى فعل لإيطاليا أكثر مما فعل اتاتورك ...

وكان مصيره الصلب على جذع شجرة فى جبال الألب ! وغيرهما كثير من المغرورين والزعماء االذين جلبوا لأوطانهم المذلة والعار والقحط والجدب !!!

لقد بدأت معرفتى تتسع حول هذه الشخصية منذ سنوات قليلة خلت كنت فى رحلة دراسية لمدينة كمبردج (Cambridge City) فالتقيت هناك مصادفة ببعض الطلبة الأتراك الذين يدرسون في جامعتها الشهيرة ، وبعد أن تعارفنا وتعمقت بيننا الألفة سألت هؤلاء الإخوة قائلاً :

(ترى إلى أى مدى نجح أتاتورك ، وفى أى صف من القادة العظام يضعه الناس والشعب ؟

وكانت مفاجأة لم أتوقعها من قبل ...

لقد صاح هؤلاء الطلبة فى وجهى بعنف .. وقالوا :

لاتقل (أتاتورك) بل قل (أخبث ترك) !!!

لعلمت من هذه اللحظة أن (أتاتورك) معناها (أبو الترك) وأن هؤلاء الإخوة الأشقاء يرفضون الاعتراف به كأب .. بل هو فى نظرهم أخبث الخبثاء الذين نكب بهم الشعب !!!

وفى موسم الحج عام ١٣٩٠ هـ التقيت فى فندق (جدة بالاس) - بوفد يمثل حزب السلامة الوطنى ، وسمعت من هؤلاء النواب والقادة مالا يكتب ! وكشفوا النقاب عن كثير من حياة (الذئب) أو (الثعلب) !

لقد ذكر الأستاذ / عبدالحميد عبدالغنى فى مقال له نشر بأخبار اليوم [1]

(فى الواقع إن حركته - أى حركة أتاتورك - لم تكن حركة عداء للدين الإسلامى ! ولاحركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الإسلامى ! بل كانت حركته حركة قومية بحتة ترمى إلى النهوض بتركيا من القيود بتخليصها من القيود التى تكبل أيديها ، وتقيد خطاها باسم الخلافة الإسلامية ، وطقوسها ومراسمها (وفى المقال نفسه .. وبعد أسطر قليلة . وفى الصفحة نفسها يقول الكاتب ما نصه :

(قرر أتاتورك أن يستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية حتى فى طبع المصحف الشريف ، وكذلك أسرف أتاتورك فى قوانين الأحوال الشخصية إلى دائرة الخروج على القواعد الإسلامية المقررة !!!

فقد حرم القانون تعدد الزوجات تحريماً باتاً !! .. وجعل للقضاء وحده حق الفصل فى طلب الطلاق ! وعدل قواعد الميراث فسوى بين الابن والبنت !!! ورفع عن المرأة الحجاب .. !

---

(١) أخبار اليوم ١٩٧٦/٩/٢٥ ..

واشتط وأسرف فدخل دائرة محرمة ؟! .. حيث أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين كان ؟! وقرر إلغاء الأوقاف ووزارة الأوقاف.. ؟!

هذا هو مافعل (أتاتورك) كما ذكر الكاتب بخط يده ، فكيف يستقيم ما كتبه أولا ، مع ذكره ثانيا ؟

وكيف يقول الكاتب قبل ذلك بأن حركته لم تكن حركة عداء للدين الإسلامى ، ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الإسلامى ؟

وإذا لم يكن هذا هو الإلحاد والردة ، والانفصال والقطيعة فهل كان ينتظر الكاتب أن يقوم صاحبنا بهدم الكعبة وتخريب المسجد النبوى فى المدينة ؟!

إن (أتاتورك) لم يكن ينطق بلسانه ، أو يفكر بعقله أو يعمل لحساب شعبه ووطنه ، لقد كان آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد تشغيلها الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية وقد نشأ أتاتورك وعاش فى أحضان جمعية (الاتحاد والترقى) التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة .

وكانت هذه الجمعية وأعضائها من أكبر المخربين للدولة ...

غير أننا لا نلوم هذا المؤلف أو ذاك حين يكتب . فالكاتب والقارئ يكتب ويقرأ مايملي عليه أو يفرض ، لأن أكثر كتابنا ومفكرينا من تلامذة الغرب الذي يرى في الإسلام عدوه اللدود الأوحد ، ولم يكن مصطفى كمال إلا واحدا من هؤلاء التلاميذ في الروح والمشرب . !

لقد دعا أتاتورك بقوة إلى إلغاء الشريعة ، وإقصاء قضاة المحاكم الدينية ...

وقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلي الدين فإنه منافسه الأكبر ! وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلي الله !!!

وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير بها إلى السماء ساخرا مهددا ! وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملا هداما في الماضي ، وأنه جنى على تركيا جناية كبيرة ، وألحق بها خسائر فادحة وكان يقول في أكثر الأحيان إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة الإله .. !!

وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين في تركيا ولو احتاج ذلك إلى استخدام القوة ، وإلى الخدعة والتضليل .

كان يبغض الإسلام والعقيدة الراسخة بغضاً شديداً ! ولم يكن سرا أن (مصطفى كمال) لايدين بدين ، وقد لمزع الناس حين شاع أن (مصطفى كمال) رمى بالمصحف على رأس شيخ الإسلام !!!

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة واستعمل القسوة النادرة والعنف فى هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ..

وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، وأقيمت محاكم فى كل ناحية ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا في قلوب الناس روح المقاومة والحماس الديني ..

ولم يكن يعبأ بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن .. يلقى القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام ، واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين على السواء .

* * *

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية : -

أ- إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

د - أن تختار لهادستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

فنفذ (كمال أتاتورك) الشروط السابقة ، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا . !!!

ولما وقف (كرزون) وزير خارجية إنجلترا فى مجلس العموم البريطانى يستعرض ماجرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الإنجليز بعنف على (كرزون) واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا ، التى يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب (كرزون) :

لقد قضينا على تركيا التى لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ... لأننا قضينا على قوتها المتمثلة فى أمرين :

الإسلام والخلافة ..... !!!

فصفق النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة ... !

ومن الوثائق السرية التي نشرت مؤخراً وثيقة موقعة باسم وزير المستعمرات البريطاني واسمه (اورسرجو) .

تقول هذه الوثيقة :-

إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذى يجب أن نحاربه وأن نقاومه .. !

وليست بريطانيا وحدها هى التى تلتزم بذلك بل تقف معها فرنسا وكل دول أوربا .!

ومن دواعي فرحتنا أن الخلافة الإسلامية قد زالت ! ونتمنى أن يكون ذلك بغير رجعة !.

إن سياستنا تستهدف دائما منع قيام الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك [1] .!!!

إن سياستنا فى الحرب العالمية الأولى - مع العرب - لم يكن الغرض منها القضاء على هذه الخلافة فقط بل والعمل على أحياء النعرات القومية والعنصرية فى مصر وتركيا وغيرها . !!!

* * *

(١) تاريخ الوثيقة ١٩٣٨/١/٩ ..

وهذا هو مافعله (أتاتورك) ونفذه بالكلمة وبالحرف !!!

يقول العلامة محمد إقبال :-(إن كمال الذى تغنى بالتجديد فى حياة تركيا ودعا إلى محو كل أثر قديم وتراث قديم جهل أن الكعبة لاتجدد ولا تعود إلى الحياة والنشاط إذا جلبت لها من أوروبا أصنام جديدة .. إن زعيم تركيا لايملك اليوم أغنية جديدة إنما هى كلها أغان مرددة معادة تتغنى بها أوروبا من زمان ، إن الجديد عنده هو القديم الأوروبى الذى أكل عليه الدهر وشرب ، ليس فى صدره نفس جديد وليس فى ضميره عالم حديث فاضطر إلى أن يتجاوب مع العالم الأوروبى المعاصر ، إنه لم يستطيع أن يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيته [١] .

* * *

في كتاب «كليلة ودمنة» قال الملك دبشليم لبيدبا الفليسوف : أخبرنى عمن يدع عمله الذى يليق به ويطلب سواه فلا يقدر عليه .

فيراجع الذى كان في يده من عمله فيفوته ويبقى حيران متلددا - أى مترددا .

---

(٢) بال جبريل ..

فقال الفيلسوف :

زعموا أن «غرابا» رأى «حجلة» فأعجبته مشيتها فطمع فى تعلمها .. لراض نفسه فلم يقدر على إحكامها .. فانصرف (عاد) إلى مشيته التي كان عليها فلم يحسن .. فبقى حيران مترددا لم يدرك ما طلب ، ولم يحسن لما كان فى يده الحفظ ..!!

ثم قال الفيلسوف للملك :

فالولاة فى قلة تعاهدهم للرعية فى هذا وأشباهه ألوم وأسوأ تدبيرا ، لأن تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ، ثم إن الأشياء فى ذلك تجرى على منازل حتى تنتهى إلى الخطر الجسيم من مضادة الملك فى ملكه [1] ..

* * *

ولم يكن «أتاتورك» إلا «غرابا» فى دنيا الزعامة ! .. ولم تكن «أوروبا» أو «الحجلة» التى تعلق بها إلا نكبة عليه إلى يوم القيامة !؟

إن المأساة هنا لا تكمن فقط فى محاربته للدين والعقيدة ، لقد ترك الرجل تركيا من ورائه عالة تعيش فى كنف غيرها فكرا

(1) كليلة ودمنة ط - دار الشروق - بيروت - ١٣٧٣ هـ - ١٩٧٣م ..

وسياسة ولاتزال تركيا - حتى يومنا هذا - دولة متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة ولم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية ، وكل علاقتها مع أوروبا لا تزيد عن علاقاتها بأية دويلة في البحر الكاريبي ، أو المحيط الهندي ، باستثناء تلك الأحلاق التي جعلت من تركيا سندا للغرب في وقت الشدة وغمة على الشعب في أوقات السلام والهدنة .. وكما يقول المرحوم العلامة إقبال :

«إنكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوروبا وصحبتها ، مع أنكم كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب .. » !!!

* * *

«والجنرالات» الذين يحكمون تركيا الآن صورة طبق الأصل «من شيطانهم الأكبر ! .. لقد زرعهم أتاتورك في أحشاء «الشعب» بطريقة غير شرعية !..

إنهم نسخة متكررة من لقطاء «التاريخ» الذي لا يعرف لهم أصل ولا تعرف لهم هوية ..!!!

وقريبا يكشف «الستار» عن حقيقة هؤلاء الجنرالات الذين فقدوا نور البصيرة والبصر وتلطخت جباهم وأيديهم بدماء الأبرياء من أبناء الشعب التركي البطل .

إن «أتاتورك» لن يفيدهم شيئا يوم الحساب الذى أصبح قريبا وإن أوروبا أو «الغرب» لن يحميهم من نهايتهم السوداء أبدا !..

إن هؤلاء الجنرالات لا يعوون دروس التاريخ جيدا .. إن تاريخ ستة قرون من الجهاد في سبيل الله لن يذهب عبثا .. والشعب التركى لن يقبل أن يضيع تاريخه سدى ..

فى «وصيته» إلى ابنه كتب الأمير «عثمان» مؤسس الدولة العثمانية إلى ولده وولى عهده يقول له : "يا بنى إياك أن تشتغل بشئ لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك فى الحكم معضلة فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلا ..

يا بنى أحط من أطاعك بالإعزاز ، وأنعم على الجنود ، ولا يغرنك الشيطان بجندك وبمالك ، وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة.

يا بنى إنك تعلم أن غايتنا هى إرضاء الله رب العالمين ، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلاله .

يا بنى !.. لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم أو سيطرة أفراد فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت ، وهذا يا ولدى ما أنت أهل له " ..!!

غير أن الجهاد ضد هذا التجديف والهرطقة من الجنرالات كان قد بدأ في السنوات الأولى من حكم أتاتورك .. كان هناك شيخ اسمه «بديع الزمان» وقد حضر بديع الزمان إلى «اسطنبول» من شرق تركيا في عهد السلطان عبدالحميد يطلب فتح المدارس ، وإنشاء جامعة في «ديار بكر» غير أن الأحداث عاجلته وخُلع السلطان ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى فتطوع للقتال ، ثم أسره الروس ونفوه إلى «سيبيريا» وتمكن هناك من الفرار والعودة إلى تركيا التي كانت قد سقطت في أيدي الغزاة . فانضم إلى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف في هذا الوقت تحرير الوطن وإنقاذه من يد الأعداء ، ثم اختلف بعد ذلك مع «أتاتورك» حين ظهر الانحراف . فنفته السلطة إلى غرب البلاد فظل ما بين نفي وسجن وتحديد إقامة من سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٥٠ ، وخلال تلك الفترة ألف مائة وثلاثين كتابا سماها «رسائل النور» شرح فيها الدين بأسلوب جديد استهوى الشباب المثقف .. فتناقل الناس رسائله نسخا باليد ، وأصبح قراء الرسائل يسمون طلاب «رسائل النور» أو جماعة «نورجو» وهي جماعة تضم على الأقل ثلاثة ملايين شاب تركي .

فى تاريخنا الإسلامى .. كانت هناك ثلاث حركات تكاد تكون متشابهة بل تكاد تكون متطابقة .. كان لكل حركة من هذه الحركات دورها وأثرها فى الحفاظ على عقيدة الأمة ، وعلى بقائها صافية نقية ، وعلى تجنيبها مخاطر التفتت والذوبان فى عقائد أخرى زائفة ، أو السقوط فى شراك الحضارة الوثنية القائمة .

أقدم هذه الحركات الثلاث هى حركة الإمام المجدد المجاهد الزاهد الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد الألف الثانى للهجرة فى الهند .

وثانى هذه الحركات هى حركة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس فى الجزائر .

وثالث هذه الحركات هى حركة الإمام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى فى تركيا .

كانت حركة «ابن باديس» تجسيدا للمقاومة والثورة ضد الاستعمار الفرنسى الذى حاول طمس وتغيير كل ما هو إسلامى أو عربى فى الجزائر .

ألم يعلن الكاردينال الفرنسى «لافيجرى» أن الجزائر لم تعد مسلمة .. وأن الجزائر أصبحت مهدا للمسيحية ، وأن أجراس

الكنائس يجب أن تعلن لتحل مكان الأذان في أي مسـجد أو زاوية..!!؟

وكما يخرج اللبن من بين فرث ودم ، ويطلع الفجر من بين ثنايا الظلام والليل استيقظت الجزائر كلها على صوت الشيخ عبد الحميد بن باديس وهو يعلن بأعلى .. صوت :

شعب الجزائر مسلم ... وإلى العروبة ينتسب

من قال حاد عن أصله ... أو قال مات فقد كذب

أو رام إدماجا له ... رام المحال من الطلب

وقد سلك في ذلك طريق التعليم والتربية ، والوعظ والدعوة ، والنشر والصحافة ..

كانت حركة الشيخ بن باديس معاصرة لحركة الشيخ سعيد ، فالشيخ سعيد ولد في عام ١٢٩٣هـ بينما ولد الشيخ بن باديس في عام ١٣٠٨هـ .. أي أن الشيخ سعيد أكبر من باديس بحوالي خمسة عشر عاما ..

وبينما توفي الشيخ عبدالحميد بن باديس مبكرا ..أي في عام ١٣٥٩هـ فقد توفي الشيخ سعيد متأخرا أي عام ١٣٧٩هـ ..

غير أننا نرى في حركة الإمام «أحمد السرهندي» تطابقا كاملا

مع حركة الإمام سعيد النورسي .. من حيث الظروف التى نشأت فيها والمشكلات التى واجهتها . والنتيجة التى انتهت إليها كل منهما ..

فالإمام «السرهندى» نشأ فى عصر أسوأ ملوك الإسلام فى الهند قاطبة .. فى عصر الملك «أكبر» ..

ذلك الغر الذى أراد أن يقضى على الإسلام فى الهند قضاء مبرما وإلى الأبد ..!!

وأن يضع دينا جديدا مقتبسا من شعائر الوثنية ورسومها يتخللها شئ من تعاليم الإسلام وتوجيهاته .. والذى حمله على اقتراف هذه الجريمة الشنعاء حرصه على بقاء الملك والتحبب إلى أهالى البلاد من الهنادك ، وزعمه الفاسد بأن هذا الصنيع يقربه إليهم ويرفع مقامه فى أعينهم ويحله محل الصدارة من قلوبهم .. فاختار لذلك طرقا عديدة ومناهج متشعبة .

منها تزوجه من بنات أمراء الهنادك مع بقائهن على عقائدهن وتمسكهن بدياناتهن وأدائهن لشعائرهن فى القصر الملكى .

ومنها تخلقه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقليدهم فى ملابسهم.
وقد بلغ منه الكره والعداء للإسلام أن كان يسمى الخدم والفراشين

بأسماء النبي ﷺ (أحمد ومحمد) .. تحقيرا لشأن الرسالة وغضا من كرامتها .

وكذلك استبدل بالتقويم الهجري الإسلامي تقويما جديدا سماه التقويم الإلهي يبتدئ بسنة جلوسه على سرير الملك .

ومن بدعه أنه أحل الخمر والقمار وغيرهما من الخبائث والمنكرات وأعانه على ذلك علماء السوء في عصره من عبيد الدينار والدرهم ، فزينوا له ما سوله له عقله المعتوه ، وجعلوه يستيقن من نفسه العصمة وتخوله الحق في أن يشرع من القانون ما يشاء ويضع من الأحكام ما يريد إلى غير ذلك من الأباطيل والخزعبلات التي تضيق هذه العجالة عن سردها .

وجملة القول إن هذه البدع والمنكرات ما كانت إلا مقدمة لما كان عقد العزم عليه من وضع دين جديد ينسخ به دين الله الخالد بزعمه ظنا منه ومن خواص أشياعه أن هذا الدين (الإسلام) الذي جاء به محمد العربي – و «البدوي» حسب تعبير أولئك الزنادقة ، قد مضى عليه ألف سنة ، والعصر الجديد يومئذ في حاجة إلى دين جديد يوافق ميول أهل العصر وأهواءهم ونزعاتهم .. فأعلنوا دينهم الجديد وسموه «الدين الإلهي» .

وكـان شعـارهم فى ذلك «الله أكبر» يريدون به أن هذا الملك الضليل المعتوه (أكبر) هو الله ...!! [1]

فكان من أثر كل ذلك أن أصبح عصر هذا الملك المأفون (٩٦٤ - ١٠١٤هـ) عصر بلاء ومحنة للإسلام والمسلمين في هذه الديار اتسع فيه الخرق على الراقع وجاوز السيل الزبى .. فاضطهد من اضطهد من عباد الله وحبس ، واعتقل من اعتقل .. إلا أنه مما يؤلم القلب ويدمع العين أنه قد زلت فى هذه الفتنة العمياء أقدام الخاصة والعامة ولم ينج من شرها حتى من كان يعد من كبار العلماء الفقهاء في ذلك العصر ، فلم يثبت في تلك المحنة الكبرى إلا عدد قليل منهم جدا .. أما جمهور العلماء والعدد الغالب منهم ، فقد استسلموا لأمر الملك وجبروت السلطان القاهر ولم يتحرجوا من التوقيع على «المحضر» الذى ادعى للملك العصمة وخوله الحق في وضع الشريعة .

لما آل الأمر إلى ما تقدم بيانه من غربة الإسلام فى هذه البلاد ، والتضييق على المسلمين واضطهادهم ، واصبح مثل القابض على الدين من بينهم كمثل القابض على الجمر .

(١) كان من أشد المعجبين بهذا الملك المعتوه - هنا فى مصر - الهالك لويس عوض !!

وقف الرجل الذي قبض الله أن يقف في وجه هذا الطاغية وأنصاره الضالين المضلين ، ويرفع لواء أفضل الجهاد ، ويصدع بكلمة الحق ويكبح جماح غوايتهم ، ويقضى على بدعهم وشرورهم قضاء مبرما ، فقام الإمام المجاهد العالم الزاهد الشيخ أحمد بن عبدالأحد الفاروقي السرهندي الملقب بمجدد ألف الثاني للهجرة بالجدارة والاستحقاق ، وشمر عن أذياله لمقاومة الفتنة الأكبرية ورد مكايد أعداء الإسلام ، وتهذيب نفوس أهل الغواية وجاهد في ذلك جهادا موفقا مبرورا حتى أنجحه الله في مساعيه ، وقضى قضاء مبرما على فتنة هذا الملك المعتوه وحوارييه ..

***

كانت انتخابات سنة ١٩٥٠ معلما من معالم التحول في تاريخ تركيا الحديث وبعبارة - أكثر تحديدا ودقة - بداية سقوط «أتاتورك» في أعين الشعب التركي الشقيق .. ففي هذه الانتخابات نزل الحزب الديموقراطي ببرنامج عجيب يتلخص في عدة نقاط :

أولها : عودة الأذان باللغة العربية ..

وثانيها : السماح للأتراك بالحج ..

وثالثها : إعادة تدريس الدين بالمدارس ..

ورابعها : إعادة « أيا صوفيا » مسجدا كما كان ..

وكانت النتيجة مذهلة .. فقد حصل الحزب الديموقراطى على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وسقط حزب « أتاتورك » الذى لم يحصل على أكثر من اثنين وثلاثين مقعدا .. واستجاب « عدنان مندريس » زعيم الحزب الديموقراطى لطالب الشعب على الفور .. فعقد أول جلسة لمجلس الوزرا ء في غرة رمضان !.. وأعاد « الأذان » باللغة العربية كما كان .. وبدأ تعمير المساجد وأصدرت الحكومة قانونا تستعيد به المساجد التى باعها « أتاتورك » ..! .. وتقرر تدريس الدين في المدارس .. وفتحت مدرستان للأئمة والخطبا ء ..!! كما تقرر فتح خمس وثلاثين ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم !! .. وقد ذكر المراسلون ووكالات الأنبا ء أنه فى اليوم الذى تم فيه إعلان الأذان باللغة العربية خرج الرجال والنسا ء إلى الشوارع باكين من الفرحة قائلين :

آذان عربى شريف .. آذان عربى شريف ..!!

وقد كتبت « بارى ماتش » الفرنسية حول مظاهر الصحوة الإسلامية وتحذير الغرب منها قالت :

«من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادى ومن إفريقيا السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الإسلام يرفع راية الإسلام فى كل مكان ، وراية الإسلام بدأت تخفق من جديد بعد طول غياب فى بعض الأماكن بينما هى تستعد للارتفاع فى مناطق أخرى .. فما هى الاحتياطات التى ينبغى على الدول الغربية أن تتخذها فى مواجهة ذلك ؟ .. وكيف نستطيع أن ندرك حقيقة ما يجرى لكى لا نفاجأ بالأحداث» .. ؟!

إن الأجواء مهيأة لحدوث الصحوة الحقيقية التى تتوج باستئناف الحياة الإسلامية من خلال صياغة نظام إسلامى بديل للنظم الوضعية المعاصرة ، وبحيث يستوعب ضرورات الحياة الحديثة ومستجداتها ، ويتلمس لها الحلول الشرعية عن طريق فتح باب الاجتهاد سواء من قبل الفقهاء كأفراد أو من قبل المجامع الفقهية فى العواصم الإسلامية ..

وإذا كانت الحقبة الأخيرة قد أكدت انتصار الإسلام فى معركة التحدى لكل من الرأسمالية العلمانية والشيوعية الإلحادية ، بدليل الفشل الذى نلمسه فى الحضارتين الماديتين الشرقية والغربية فإن الإسلام يؤكد لنا جدارته للعودة إلى حياتنا من خلال صموده

فى كل المعارك التى تعرض لخوضها حتى الآن ..؟!

وكما يقول الكاتب البريطانى والصحافى المعروف «إدرارد مورتيمر» أن مصطفى كمال بالرغم من كل الإجراءات التى اتخذها لتحديث وعلمنة تركيا إلا أنه لم يستطع قتل الشعور الدينى الجارف داخل قلوب ومشاعر غالبية الشعب التركى رغم الحظر الذى مارسه «الكماليون» فى تركيا طيلة السنوات الستين الماضية .. ويقول : "إن شعورا جارفا وقويا للعودة للتقاليد والنظم الإسلامية قد نما بين مختلف طبقات الشعب التركى" ..

لقد ذهب مراسل جريدة «التايمز» The Times إلى أحد البنوك التركية فشاهد هذا المشهد : لدى إحدى مناضد الصرف ، وعدد من موظفى المصرف يقبلون فى جدال عنيف على سيدة كهلة تدل ملابسها الظاهرة على أنها من الفلاحين ..

وكانت السيدة تصيح بلهجة تركية حازمة :

"كلا أبدا .. اصنعوا بالنقود ما بدا لكم ولا تعطونى إياها" ..

ألم يرد فى كتاب الله أن أكل الربا حرام مهلك ...!!!

ودنوت منهم مأخوذا بهذا المشهد الرائع .. وقام من بينهم محمد «بك» وهو تركى من أبناء الجيل الحديث ذى الصبغة

الأوروبية الخالصة ولا يكاد يظن الناظر إليه في أي مكان إلا أنه غربي . وقد عهدته باسنا رزينا - قد علاه خليط عجيب من الحرج - فأقبل على مبينا أنها قروية لها مع المصرف حساب . وهو أمر أصبح مألوفا نتيجة الإثراء الذي طرأ منذ أعوام على كثير من الفلاحين الأتراك .. ثم روى لي كذلك أنها (مسلمة شديدة التدين شأن سائر الفلاحين) وأنها استحقت خمسين ليرة فائدة على ودائعها لكنها تأبى إباء قاطعا أن تمس شيئا منها لأن القرآن ينهى عن أخذ الربا) ..!!

أمعنت النظر فيها ، فإذا هي ضاربة على رأسها بالخمار المعهود ساترة به ذقنها ومسدلة إياه على أسفل الجبهة .. وهذا الشرشف -كما يسمونه- هو البقية الباقية من سالف الحجاب في تركيا .. وكانت ترتدي ثيابا فاقعة الألوان وسراويل واسعة فضفاضة مما يعرفونه باسم «الشلفاز» ..

ولبثت تتأمل في كشف رصيدها بكثير من الريبة .. ثم انبرت فجأة مشيرة ببنانها - إشارة اتهام - إلى جملة من الأرقام أضيفت إلى الحساب ، معلنة بحزم فاصل :

«هذا هو» الفائض ولن آخذه أبدا ..!!

يقول مراسل التايمز (The Times) : لقد أيقنت من هذه اللحظة أن الإسلام فى تركيا يستعصى على الموت !!.. وأن كل ما فعله «أتاتورك» تلاشى أمامى فى غمضة عين ..!!

إن رأس الأمر كله هو الدين - كما قال مولانا محمد على - فى محاكمته الشهيرة فى مدينة كراتشى - والمرء الذى لم يبدأ حياته به لا يتمتع بحياة حقيقية ولا يشعر بالمعنى الحقيقى لهذه الحياة ..!

إن واجبه الأول وولاءه الأوحد يجب أن يكون لله .. قد يتمتع ببعض التكريم ، وقد ينال شيئا من الولاء غير أن هذا التكريم وهذا الولاء بمقارنته بالولاء والإخلاص لله يذوى كالورقة التى يلفحها اللهب المشبوب فتذروها الرياح الأربع .. أو تلوث يد الممسك بها بالسواد ..!!

إن الإيمان لا يموت بالقتل !! .. وإن قطرة واحدة من دم شهيد كافية لإشعال النار فى الجليد والثلج .. وفى تركيا اليوم نداء جديد يتردد صداه مع كل فجر .. إنه نداء الإيمان الذى انكمش داخل الصدور فترة من الوقت فمدارس القرآن تنتشر وتزداد ، ومجالس العلم تعود إلى سابق عهدها فى المساجد ، وقد تساءلت

جريدة «لوموند» الفرنسية عن هذه الظاهرة الجديدة فى تركيا فقالت : ترى هل استيقظ الرجل الميت ؟!..

نعم قد استيقظ !! فالشعب الذى حمل لواء الجهاد ستة قرون دفاعا عن الإسلام لا يمكن أن يموت والأمة التى من رجالها رجال كمحمد الفاتح وسليمان القانونى وسعيد النورسى ... لا يمكن أن تقهر .. لكن .. هل يقف الإسلام عقبة فى طريق التقدم ؟ .. وهل الدين هو سبب تأخر المسلمين بين الأمم ؟

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله مجيبا على هذا السؤال : كتب إلى تلميذى المرشد الشيخ محمد بسيونى عمران .. إمام مهراجا جزيرة سمبس .. بورينو(إندونيسيا) .. كتابا يقترح فيه على أخينا المجاهد (أمير البيان) أن يكتب للمنار مقالا بقلمه السيال يبين فيه أسباب ضعف المسلمين فى هذا العصر وأسباب قوة غيرهم من اليابان والإفرنج ..

وقال فى كتابه :

إنه قرأ ما كتباه فى (المنار) وتفسيره من بيان الأسباب فى الأمرين وما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده فى مقالات (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) فى الموضوع نفسه ، وأنه يريد

برسالته أن يكتب ذلك أمير البيان شكيب أرسلان بقلمه ..

يقول الشيخ محمد بسيونى عمران فى رسالته :

ما أسباب ما صار إليه المسلمون من الضعف والانحطاط فى الأمور الدينية والدنيوية معاً ؟ رغم ما يقول الله فى كتابه :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .. فأين هى عزة المؤمنين الآن ؟ .. وهل يصح لمؤمن أن يدعى أنه عزيز ؟..ويتسا ءل أيضا : ما الأسباب التى ارتقى بها الأوروبيون واليابانيون ارتقاءً هائلا ؟

وهل يمكن أن يكون المسلمون أمثالهم فى هذا الارتقاء مع المحافظة على دينهم وعقيدتهم ؟

هذه هى الأسئلة التى وضع بشأنها هذا الكتاب [1] .. وكان ذلك منذ حوالى نصف قرن تقريبا ، وقبل أن تبدأ الحرب العالمية الثانية بحوالى عشر سنوات .. وبعد أن تقاسم العالم الإسلامى والعربى قوى الاستعمار الغربية وبدأت تمارس فيه أحقادها الدفينة ومؤامراتها الدنيئة .. كان العالم العربى فى هذه الآونة شراذم ممزقة والمسلمون يتامى فى كل أمة .. فقد أجهضت دولة الخلافة ووجهت إلى الإسلام طعنة قاتلة وخرجت من الجحور والشقوق عقارب

(١) يقصد كتاب « لماذا تأخر المسلمون » الذى كتبه الأمير شكيب أرسلان ..

البغضاء والكراهية .. وارتفعت هنا وهناك شعارات تطالب بالفصل بين الدين والدولة ووقف أتاتورك يعلن إلى العالم تبرأه من الإسلام والعروبة ..

وفى هذا الجو الخانق يصدر هذا الكتاب ويجئ جوابا على تساؤل أذهان الكثيرين من أبناء العالم الإسلامى الذين تكاثفت من حولهم الظلمة .. وأحاط بهم يأس قاتل تموت فيه الهمة ..

لكن من هو أولا المرحوم الأمير شكيب أرسلان ..؟

لقد ولد الأمير شكيب فى بيت « أرسلان » العريق فى لبنان فى شهر رمضان المبارك سنة ١٢٨٦ هـ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد معلم خاص حسبما كانت عليه عادة السراة فى ذلك الحين، ثم انتقل إلى التعلم على يد أستاذ آخر فحفظ جانبا من القرآن الكريم وحين بلغ العاشرة من عمره دخل مدرسة الحكمة فى بيروت وتلقى فيها دروس العربية على يد الشيخ عبد الله البستانى ..

وفى مدرسة الحكمة تعلم اللغة الفرنسية والتركية وظهرت تباشير شاعريته وهو فى الرابعة عشرة من عمره ، وكان فى سن دراسته مبرزا على أقرانه وما هى إلا سنوات قليلة حتى رحل إلى دمشق وبدأ يجالس المشاهير ويتعرف عليهم من أمثال : الشيخ

محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ على البستانى ، والشيخ علي يوسف صاحب جريدة «المؤيد» ، وحفنى ناصف ، وأحمد زكى باشا ، وطفق رحمه الله وهو فى سن الشباب ينشئ علاقات شخصية وأدبية مع أعلام عصره أمثال الشاعر إسماعيل باشا صبرى ، وأمير الشعراء أحمد شوقي ، والبارودي ، وعبد الله باشا فكرى ..

وتقلبت به السنون شاعرا ، وثائرا ، ومصلحا ، وبحاثة لغويا ، وزعيما سياسيا ، ومترجما ومحققا ، وهو فى كل ذلك لسان حال العروبة الصادق ، ورجل العقيدة الذى لا يخاف فى الله لومة لائم.

لقى الأمير شكيب أرسلان ربه فى الخامس عشر من محرم ١٣٦٦هـ / ديسمبر ١٩٤٦م فأفل النجم الذى أضاء دنيا العرب وأغمد ذلك السيف الذى طالما دافع عن قضايا العروبة والإسلام .

وقد لاقى هذا الكتاب الذى دبجه يراع الأمير شكيب أرسلان بقلمه – رواجا فى كل أنحاء العالم الإسلامى – وكان أشبه بعود الثقاب فى الظلام الدامس المدلهم وقد قوبل هذا الكتاب بمعارضة ومطاردة من الدوائر الاستعمارية .. وقابلته فرنسا بحماقة شديدة فمنعت دخوله بلاد شمال إفريقيا وحرمت قراءته على الناس كأنه وباء ..

وفرضت العقوبات الصارمة على كل من يوجد عنده هذا الكتاب .. يقول الأمير شكيب :

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم أو مال .. وانتظروا بذلك النصر من الله .. وليس الأمر كذلك فإن فرائض الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام ولا في الدعاء والاستغفار .. كيف يقبل الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا ، وبخلوا وما بذلوا .. فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الأوروبيين في البسطة والقوة وهم مقصرون عنهم بمراحل في الإيثار والتضحية ؟

ويقول الأمير شكيب .. يقولون :

لماذا سادت الأمة الإنجليزية هذه السيادة على العالم ؟

ونقول لهم جوابا عن ذلك : إنها سادت بالأخلاق والمبادئ الوطنية العالية .. إني أعرف رجلا إنجليزيا كان يأمر خادمه أن يشترى له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل إنجليزي في البلدة التي يقيم فيها .. فجاءه الخادم يوما بجدول حساب وفر عليه به عشرين جنيها في الشهر فسأله الإنجليزي : كيف أمكنك هذا التوفير ؟

فقال له الخادم : تركنا دكان الإنجليزى الذى كنا نشترى منه إلى دكان آخر يبيع بسعر أرخص .. فقال له الإنجليزى :

ارجع إلى الدكان الأول الذى كنا نشترى منه .. فقال الخادم : ولو كان ذلك يكلفنا عشرين جنيها زيادة ..؟

قال الإنجليزى : ولو كلفنا عشرين جنيها أخرى ..

إن العطاء والتضحية والبذل هى التى تصنع تاريخ الرجال والأمم لقد قام أهل الريف المغربى فى وجه الدولة الإسبانية فطردوا جيوشا بعد أن أبادوا فى معركة واحدة ٢٦٠٠٠ (ستة وعشرون ألفا) من الإسبان وغنموا منهم ١٧٠ مدفعا مع أن أهل الريف جميعهم لم يكونوا يزيدون فى هذا الوقت عن ثمانمائة ألف رجل وامرأة وطفل وكان عدد سكان إسبانيا فى ذلك الحين يقارب اثنين وعشرين مليونا ..

إن المبالغ الزهيدة التى جمعها المسلمون لنصرة المجاهدين فى برقة وطرابلس هى التى أوقعت بإيطاليا أفدح الخسائر وكبدت ميزانيتها مئات الملايين من الجنيهات .. ففى وقعة واحدة هى وقعة «الفويهات» على باب «بنغازى» ثبت مائة وخمسون مجاهدا عربيا لثلاثة آلاف جندى إيطالى من الفجر إلى غروب الشمس

حتى انقرضوا جميعا وبينما كان المسلمون فى حزن لوفاة هؤلاء المجاهدين جاءت الأخبار بأن إيطاليا فقدت فى هذه المعركة وحدها ١٥٠٠ جندى .. وأصيب سبعة من ضباطها بالجنون .. وصدق الله العظيم :

﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .. وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ ..

لقد كانت نتيجة هذه الموقعة انفجارا زلزل أرجاء إيطاليا .. مائة وخمسون يقتلون ألفا وخمسمائة .. ويتسببون فى جنون سبعة من الضباط .. مائة وخمسون بالبنادق والأسلحة العتيقة يتصدون لجيش أوروبى فيدمرونه ويدحرونه ..

لقد جن جنون إيطاليا ، فما سر هذه التضحية فى جنود العرب؟ .. إنه الإسلام .. فلنتحرك فى شبابنا أحقاد الماضى الدفينة وتاريخ الحروب الصليبية .. فكان هذا النشيد الذى يقطر حقدا وعداوة وهمجية ..

صلى يا أماه ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى ..

ألا تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا مسرورا لأبذل دمى فى سبيل سحق الأمة الملعونة .. ولأحارب

الديانة الإسلامية ..

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ..

ليس بأهل لمجد من لم يمت إيطاليا حقا ..

يا أماه .. أنا مسافر .. ألا تعلمين أن الأمواج الزرقاء الصافية من بحرنا ستلقي سفائننا على المراسي ..؟ أنا ذاهب إلى طرابلس مسرورا لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني وذلك القطر تحت ظلها ..

لا تموتي لأننا في طريق الحياة .. وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدك ..

ولكن اذهبي كل مساء وزوري المقبرة ونسائم الأصيل تحمل إلى طرابلس وداعك الذي يأبى الحداد على قبر فلذة كبدك ..

وإذا سألك أحد عن عدم حدادك على .. فأجيبيه ..

إنه مات في محاربة الإسلام ..

يقول المرحوم أرسلان :

ومن أغرب الأمور أن نرى الأوروبيين ودعاتهم وتلاميذهم من الشرقيين يتهمون المسلمين بالتعصب .. ويزعمون لأنفسهم التساهل في أمور العقيدة والدين .. ؟

بل إن بعض المسلمين «جغرافيا» يتسابقون ببلاهة وراء هذه الأكذوبة الضخمة فيتساهلون فى أمور دينهم حتى يكونوا «متمدنين» وعصريين ..

فالمسلم فى نظر هؤلاء لا يكون «غير متعصب» إلا إذا سمع بتنصير المسلمين ثم يمر بذلك كأن لم يسمع شيئا .. وإلا إذا سمع أن الهولنديين والفرنسيين نصّروا عشرات الألوف من المسلمين فهز كتفيه كأن لم ير شيئا ..

هنالك يصير «راقيا» ويعد «عصريا» ويصبح عند أعداء الله محبوبا ..

أما الأوروبى فله أن يبذل القناطر المقنطرة على بث الدعاية التبشيرية بين المسلمين وله أن يحميها بالمدافع والطيارات والدبابات ..

وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالقوة والمدرعات .. وله أن يدس كل دسيسة ممكنة لهدم الإسلام فى بلد الإسلام وليس عليه من حرج فى ذلك ولا يسلبه هذا العدوان والبغض صفة «راق» و «متمدين» و «عصرى» ..

وهؤلاء المسلمون الجغرافيون برغم هذه الشواهد والأدلة ورغم

ما فعلته فرنسا «اللادينية» فى محاولة تنصير البربر وفصلهم عن الإسلام .. ورغم حماية «هولندا» لمبشرى الإنجيل وإصرار بلجيكا على تنصير أهل الكونغو .. ومنع الإنجليز للدعاة المسلمين فى كينيا وأوغندا وتنجانيقا وجنوب السودان .. وبرغم أمور كثيرة لا نستطيع شرحها فإن الأغبياء لا يزالون يقولون :

إن أوروبا قد رفضت الدين .. وصارت دولها علمانية لا دينية .. ولهذا تقدمت وترقت ولا سبيل لرقينا حتى نترك الدين ..؟

ونقول لهؤلاء الأغبياء والعمى فى أمتنا ..

إن التبشير والاستعمار يسيران جنبا إلى جنب .. بل إن التبشير كان دائما هو طليعة الاستعمار فى كل أرض ، فقد أرادت أن توهم المسلمين بتخليها عن «الدين» حتى يحذو حذوها وينفصلوا عن مصدر القوة والعزة والحرية .. أوهمت المسلمين ظاهرا بهذه الأكذوبة ثم أطلقت «عصابات التبشير» فى مستعمراتها تحت حماية قواتها المسلحة لتدمر وتخرب فى عقائد المسلمين .. لأن الإسلام هو العزة والحرية .. وما بقى المسلمون مسلمين فلا بقاء لمستعمر فى أرض تدين بالإسلام والرسالة المحمدية .. وهنا نقف وقفة قصيرة ..

لقد حدثني في العام الماضي [1] رجل كان يشغل منصبا قانونيا كبيرا في هيئة دولية .. قال ذلك الرجل المسلم :

عندما أممت قناة السويس وجد في ميزانيتها قرار باعتماد خمسة ملايين جنيه ترصد لأعمال التبشير سنويا في المنطقة .. والأغرب من هذا كله أن «فرديناند ديلسبس» المهندس الفرنسي الذي أشرف على شق القناة أرسل إلى بابا روما بعد حفل الافتتاح برقية يخبره فيها بأن الطريق إلى غزو العالم الإسلامي والسيطرة عليه أصبح ممهدا .. وسهلا ..!!

بل إن أحد الرهبان واسمه «سان لوي» هو الذي فكر منذ زمن بعيد بشق هذه القناة ليصبح الطريق مفتوحا أمام جحافل الغزو الصليبي في قلب العالم الإسلامي ..

ولم أعجب حين سمعت من الرجل القانوني هذه القصة .. فقد رأيت بعيني تلك المدارس التبشيرية التي أنشأتها شركة قناة السويس في مدن القناة كلها ..

وكل هذه المدارس تديرها راهبات بإشراف الكنيسة والكرادلة وهي مدارس «سان فنسان دي بول» و «سان لوي» و

(١) ١٩٧٢ ..

«الفرنسيسكان» وبانياستير والصليبي الحاقد فرديناند ديلسبس.

نعود مرة أخرى إلى كتاب المرحوم شكيب أرسلان :

يقول رحمه الله : إن من أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغى كل شئ قديم بدون نظر فيما هو ضار أونافع .. كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئا ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظنا منها بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث مع وضع الكفار ..

لقد أضاع الإسلام جاحد وجامد ..

أما الجاحد فهو الذي يأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ، ويحملهم على إنكار ماضيهم ويجعلهم أشبه بالعنصر الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر فيذوب فيه ويفقد هويته .. وذلك لا يصدر إلا من النفسل الخسيس التعس الذي يشعر أنه في وسط قومه دنئ الأصل فيسعى هو في إنكار أصل أمته لأنه يعلم نفسه منها بمكانة خسيسة ليس له نصيب من الأصالة فيريد أن يجعل الكل شريكا له في هذه الخسة ..

إنهم كالقرود يقلدون بغير وعى ولا إدراك .. فقد قال المستر «شمبرلين» ناظر خارجية إنكلترا سابقا .. ورئيس وزرائها فى مطلع الحرب العالمية الثانية .. نحن الإنكليز أمة تقليدية محافظة على القديم لا نرضى بتبديل شئ من أوضاعنا إلا إذا ثبت ضرره ولم يبق مناص من تغييره ..

ومما يزيد هذا المثال تأثيرا فى النفس أن الأيرلنديين أمة صغيرة مجاورة للإنجليز وقد حاولت بريطانيا كل ما يتصوره العقل لدمج هذا الشعب فى الأمة الإنجليزية مدة تزيد عن سبعمائة عام فأبوا أن يصيروا إنجليزا وبقوا إيرلنديين بلسانهم وعقيدتهم ..

وفى فرنسا تأبى جماعة «البريتون» إلا أن يحافظوا على أصلهم وفى جنوب فرنسا توجد جماعة يقال لهم «الباشكنس» ظلوا محتفظين بقوميتهم تجاه القوط .. والعرب .. والفرنسيين .. والإسبان ، وفى سويسرا ثلاثة أقسام لكل قسم لغة .. الأمثلة كثيرة ولا تنتهى فى أوروبا وأقطارها وقد حصرت أمثلتى فى أوروبا لأنها القدوة لهؤلاء الجاحدين فى العالم الإسلامى والعربى .. واليابان ..؟ .. نعم اليابان !

إنها دولة شرقية مائة فى المائة فكيف نهضت وتقدمت وسبقت

الكثير من دول أوروبا والغرب ؟ .. هل تخلصت من قوميتها وعقيدتها ؟ .. هل انسلخت عن ماضيها وتراثها ؟ .. هذه الأمة الشرقية التى يضرب بها المثل فى الرقى والتقدم لاتزال ملتزمة بعادات وتقاليد مضى عليها أكثر من ألفى سنة .. وامبراطورها هو ابن السماء والكاهن الأعظم ..

ملك إنجلترا وامبراطور الهند .. فيما مضى .. هو رئيس الكنيسة الانجليكانية (حسب الدستور) ومجالسه النيابيه تناقش فى قضايا لاهوتية خطيرة مثل قضية الخبز والخمر وهل يستحيلان بمجرد كلام القسيس إلى جسد المسيح ودمه كما تنص تعاليم الكنيسة فكيف لا يقال عن هذا الملك إنه رجعى وأن دولته العظمى متأخرة متقهقرة ..؟

إنها أمثلة لا تحصى أيضا فى الأمم الأوروبية .. الأمم التى تدعى العلمانية .. وفصل الدين عن الدولة ..

وهنا نقف وقفة ثانية ..

فإسرائيل دولة انبثقت من تعاليم التلمود والتوراة .. العبرانية تعود من جديد إلى الحياة .. المخترعات تحمل أسماء كانت قد اندثرت تحت أنقاض الزمن .. كل شئ فى إسرائيل يتعطل يوم

السبت لأنه يوم مقدس .. الأحزاب الدينية تكيف الحياة فى إسرائيل حسب التعاليم التى انقرضت .. فى كل فرقة من الجيش حاخام يفرض وجوده على قواد الفرق .. ومع ذلك فإن إسرائيل كما يردد القرود فى العالم العربى دولة عصرية .. دولة عصرية رغم كونها عنصرية .. دولة تقدمية وكل شئ فيها ملون بأحبار الكهنة والحاخامات ..

ويقول المرحوم شكيب أرسلان :

بقى بعد ذلك أن نتحدث عن الجامدين فى العالم الإسلامى هؤلاء الذين مهدوا لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذى عليه العالم الإسلامى إنما هو ثمرة تعاليمه وقيمه ..

إن المسلم الجامد هو سبب الفقر فى العالم الإسلامى لأنه جعل من الإسلام دينا آخر فقط بينما الإسلام دين ودنيا .. والجامد هو الذى شن الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية بحجة أنها من علوم الكفار فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم وأورث أبناءه الفقر ، والمسلم الجامد لا يدرى أنه بهذا المشرب يسعى لبوار أمته وحطها عن الأمم الأخرى ولا يتنبه لشئ من المصائب التى جلبها على

قومه إهمالهم للعلوم الكونيـة حتى انتهوا إلى هذا الجهل الذى هم فيه وصاروا عيالاً على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة.

والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية وهم الذين يحولون دون الرقى العصرى .. والإسلام قبل غيره برئ من جمودهم وسذاجتهم ..

إن الإسلام ثورة على القديم الفاسد ، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق فكيف يكون الإسلام ملة الجمود وهو وحده دين التقدم والتطور ..؟

فالمسلم الجامد يحارب كل علم غير العلم الدينى الذى ألفه .. وينسى أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب والهندسة والكيمياء وكل علم يفيد الاجتماع البشرى هى علوم دينية .. وكم جرى تدريس هذه العلوم فى الأزهر الشريف والزيتونة والقرويين وقرطبة .. وبغداد وسمرقند وغيرها عندما كان للإسلام دول ورجال أعاظم .. وكم نبغ فى الإسلام من عظماء جمعوا بين الحكمة والشريعة ونظموا بين الحديث والرياضة وأن أكبر فيلسوف عربى اشتهر اسمه فى أوروبا هو القاضى «ابن رشد» وقد كان من أكابر الفقهاء والفلاسفة ..؟

لقد بلغت بغداد فى عهد المنصور والرشيد والمأمون ما لم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا العصر حيث كان أهلها يبلغون مليونين ونصف مليون من السكان ..

كذلك كانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند وأصفهان وحواضر أخرى كثيرة من بلاد الإسلام ، كانت القيروان وفارس ومراكش فى العرب أعظم وأعلى من أن يطاولها مطاول أو يناظرها مناظر أو أن يكاثرها مكاثر فى ممالك أوروبا حتى القرون الأخيرة ..

وكانت قرطبة مدينة فذة فى أوروبا لا يدانيها مدان .. وكان عدد سكانها مليون ونصف المليون نسمة ، وكان فيها نحو سبعمائة جامع عدا المسجد الأعظم وقد حدثنى المهندس الإسبانى الذى كان يرافقنى حين زيارتى لهذا المسجد أنه يتسع لحوالى (٥٠٠٠٠) خمسين ألف مصلى فى الداخل و (٣٠٠٠٠) ثلاثين ألف مصلى فى صحنه الخارجى ..

وحسبك أن غرناطة التى كانت حاضرة مملكة صغيرة فى آخر أمر المسلمين فى الأندلس لم يكن فى أوروبا فى القرن الخامس عشر المسيحى بلدة تضاهيها ولا تدانيها .. وكان فيها عندما سقطت فى أيدى الإسبان نصف مليون نسمة ولم يكن فى ذلك

الوقت فى أية عاصمة أوروبية نصف هذا العدد ..

هكذا كان المسلمون سادة الدنيا ومفخرتها .. كانوا كذلك حين كان الإسلام فعالا مؤثرا فى الحياة والحكم .. حين كان الإسلام هو المهيمن على القلوب والفكر حين كان الإسلام هو المصدر الأول والأخير للتشريع والنظام ..

إن القائلين بأن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين هم أول الناس علما بضخامة أكذوبتهم وإذا صدر هذا الكذب والافتراء من أمم تدين بالنصرانية فإنما يعمدون بهذا الكذب إلى ستر خيبتهم وأحقادهم ..

لقد كانت اليونان - قبل النصرانية - أمة من أرقى أمم الأرض وكان الإسكندر الأكبر ابنا لهذه الأمة التى تصدرت بثقافتها شعوب العالم فى فترة من الزمن ، ولم تزل اليونان فى هذه المكانة حتى دخلت فى النصرانية فبدأت تتدلى وتنحدر حتى أصبحت ولاية تركية ..!!

وكانت روما دولة عظمى لا تذكر بجوارها دولة .. ولم تزل كذلك حتى دخلت فى النصرانية على عهد قسطنطين ومنذ ذلك الوقت بدأت تنحدر وتنحط حتى تلاشى سلطانها شرقا وغربا ..

وأصبحت أقطارها ولايات إسلامية ..!!

وفي نظر الكثير من المؤرخين الأوروبيين أن الكنيسة هي العقبة الكؤود في طريق كل نهضة ، وأنها سبب الانحطاط والتأخر ، وأنها الوحيدة التي عرقلت عجلة الحضارة في أوروبا وأن عصر النهضة لم يبدأ إلا بالتخلص من الكنيسة ومفاهيمها البالية العتيقة .. وقد قال « فولتير » لرئيس وزراء النمسا البرنس « سبندروف » حين زاره وسأله عن حركة الإصلاح المسيحية التي قام بها « لوثر » و « كلفن » قال « فولتير » :

كلاهما لا يصلح حذاء لمحمد ...!!!

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٣٠٠ / ٢٠٠١

دار النصر للطباعة الإسلامية

٢ - شارع نشاطي شبرا القاهرة

الرقم البريدي ـــ ١١٢٣١